جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

ضمير المُتَكلِّم عن الذَّاتِ العَلِيَّةِ في القرآن الكريم (سورة البقرة أنموذجاً)

The conscience of the one who talks about the supreme self in the Holy Qur'an (Surat Al -Baqara as a model)

إعداد

د. مريم بنت عبدالهادي القحطاني

أستاذ الأدب القديم في قسم الأدب والنقد والبلاغة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الأول-فبراير)

(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٥/٦٢٧١م

ضمير المُتَكِّلم عن الذَّاتِ العَلِيَّةِ في القرآن الكريم (سورة البقرة أنموذجاً)

مريم بنت عبدالهادي القحطاني

قسم الأدب والنقد والبلاغة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: *hgkfjut23@gmail.com*

الملخص:

يسعى هذا البحث لفحص ضمير المتكلم الدال على الذات العلية لله – عزّ وجلّ – في سورة البقرة، وذلك من زوايا عديدة، أولها البنية النحوية التي جاء فيها ضمير المتكلم بنوعيه: الجمع والمفرد، وينتقل بعدها لفحص الصيغ اللغوية التي ورد فيها ضمير المتكلم عن الذات العلية في السورة الشريفة، وأخيرا يتتبع البحث مواضع الالتفات التي جاء فيها ضمير المتكلم الدال على الذات العلية، بقسميه: الجمع والمفرد، وقد توصل البحث إلى أننا يمكن أن نصنف ذلك الالتفات إلى قسمين: أكبر، وأصغر، وضمن الالتفات الأصغر نجد التفات داخل الآية الواحدة، والتفات بين آيتين متتاليتين، كل ذلك مبني على ما رجّحه البحث من القول بأن سورة الفاتحة تمثل الأصل الذي بدأ به كلام الله عن نفسه في كتابه العزيز، وأن ما جاء في سورة البقرة يعدّ التفاتا عن ذلك الأصل.

الكلمات المفتاحية: ضمير المتكلم، الذات العلية، سورة البقرة، الالتفات.

The conscience of the one who talks about the supreme self in the Holy Qur'an (Surat Al -Baqara as a model)

Maryam bint Abdul Hadi Al -Qahtani
Professor of ancient literature in the Department of Literature, Criticism and Rhetoric, Umm Al -Qura University, Makkah Al -Mukarramah, Kingdom of Saudi Arabia
Extract.

Email: *hgkfjut23@gmail.com*

Abstract

This research seeks to examine the conscience of the speaker that indicates the salty self of God - the Almighty - in Surat Al -Baqara, from many angles, the first of which is the grammatical structure in which the conscience of the speaker came with his quality: the plural and the individual, and then it is transferred to examine the linguistic formulas in which the pronoun of the speaker was mentioned In the honorable surah, and finally the research follows the places of attention in which the conscience of the speaker indicates the atticing self, in its two sections: the plural and the individual, and the research has concluded that we can classify that attention into two parts: larger, smaller, and within the smallest attention we find gatherings within one verse, And the attention between two consecutive verses, all of this is based on what the research suggested that it is said that Surat Al -Fatihah represents the origin with which the words of God began about himself in his dear book, and that what was stated in Surat Al -Baqara is a date for that origin.

Keywords: *The Pronoun Of The Speaker , The Atticing Self , Surat Al ,Baqara , Pay Attention.*

المقدمة

من أشرف ما يدرس في القرآن الكريم –وكله شريف رفيع – تتبع كيفية كلام الله – عزّ وجل – عن نفسه في كتابه الكريم، ولذلك أوجه متعددة، أظهرها الأسماء الحسنى، ومنها كلام الله عن ذاته العليّة بالضمائر، مثل: ضمير المتكلم، وضمير الغائب، ومنها كلامه عن ذاته العليّة بالأسماء الموصولة، وكل وجه من تلك الأوجه الجليلة جدير بالدراسة، والنظر، والتدبر.

وكنت قد هممتُ بدراسة أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم، وشرعت في جمع المصادر والأبحاث عن هذا الموضوع، ثم بدا لي أنْ أدرسَ كلامَ الله عن نفسه في كتابه العزيز بالضمائر؛ لأني لم أقف فيه على دراسة مستقلة، تتتبّع مواطنه، وتتفحص أسراره، سوى ما تفرق في كتب التفسير، والعديد من تلك المواطن لم تنل حقها من البيان والإيضاح.

وقد جاء في القرآن الكريم من الضمائر الدالة على الذات العليّة: ضمائر المتكلم بنوعيه: المفرد، والجمع، وضمير الغائب، ولم يرد كلام لله عن نفسه بضمير المخاطب في كتابه العزيز مطلقا(١).

---

(١) في مواطن عديدة من شعر الشعراء تجد الشاعر يتكلم عن نفسه بضمير المخاطب، ومن الملاحظ أن ذلك في مقامات الألم، والقلق، والحزن، والحيرة، ولو بحث ذلك باحث لاستطاع جلاء هذا وإبانته، كقول الشاعر:

اعتـــادَ قلبَـــكَ مِـــنْ ليلـــى عوائـــدُهُ وهَـــاجَ أهـــواءَك المكنونـــةَ الطلـــلُ

والذي يظهر لي أن هذا يفسر لنا خلو القرآن الكريم من ذلك، فلم يتكلم الله عن نفسه بضمير المخاطب في كتابه العزيز، عزّ شأنه، وتعالى سلطانه، لأن كلام المتكلم عن نفسه بضمير المخاطب علامة حزن، وقلق، ومعاناة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

ومضى على ذلك من الزمان ما مضى، حتى جاء يوم كنت أقرأ فيه كتاب الله العزيز، فوصلتُ لقوله تعالى: " وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون " [1] فهداني الله بهذه الآية لتنفيذ فكرة البحث، وزادني شغفا بها، لما أدهشني من ذلك الالتفات الجليل من حديث الله عن نفسه بضمير الغائب عن قدرته سبحانه على إنزال الماء من السماء، إلى الحديث عن قدرته سبحانه على إنبات الزرع، حين التفت من ضمير الغائب (هو) إلى ضمير المتكلم الجمع، وإنْ كان لَكَ قلبٌ يعقل ستدرك ما وراء ذلك من معان ودلالات، وطالما كان في عالم الزرع والنبات حياة للقلوب، ألا ترى تلك الرسائل المخبوءة في البذور، أَلَا تبهرك الأزهار والثمار، والتنوع البديع في عوالم النباتات !

فقصدت للبحث في ضمير المتكلم عن الذات العليّة في القرآن الكريم، وجعلت الحقل التطبيقي في ذلك: سورة البقرة، لأنها أطول سورة في القرآن الكريم، ومما قَدَح عزيمتي على عمل البحث ما أستشعره في ذلك الأسلوب من كلام الله عن نفسه من القرب من الله، حين يكلم الناس بضمير المتكلم، أليس المُحِبُّ مولعا دوما بقرب الحبيب، ومتشوقا لقربه، فاللهم اجعلها قربا منك، وزلفى إليك يا رحمن .

وعسى الله أن يبسط في العمر مدة عفو وعافية تعين على بلاغ ذلك، ومتابعة دراسة بقية سور كتاب الله العزيز من هذا الجانب، وهو المستعان أولا وآخرا.

وقد اقتضى موضوع البحث تطبيق المنهج الوصفي، يعضده التحليل النحوي والبلاغي في المواضع التي تستدعي ذلك.

---

(١) سورة الأنعام – ٩٩

وقد قسمت البحث إلى **مقدمة**، ثم تمهيد بيّنتُ فيه مفاهيم البحث الأساسية، ثم خمسة فصول:

المبحث الأول – بناء سورة البقرة ومقصدها العام.

المبحث الثاني – ضمير الجلالة المتكلم عن الذات العلية والبناء النحوي .

المبحث الثالث – ضمير الجلالة المتكلم عن الذات العلية والصيغ اللغوية

المبحث الرابع – ضمير الجلالة المتكلم عن الذات العلية، وعلاقته بالالتفات في سورة البقرة

المبحث الخامس– ضمير الجلالة المتكلم عن الذات العلية، ومواضعه من بنية سورة البقرة:

ثم **الخاتمة**، وتتضمن النتائج، والتوصيات، والله الموفق والمستعان.

التمهيد

يضم هذا البحث محاور متعددة، لأنه يبحث عما ورد في سورة البقرة من ضمير المتكلم عن الذات العلية، وما في ذلك مِنْ عِزّ الربوبية، وأن ذلك يأتي كثيرا علي سبيل الالتفات، ولذا لا بد من بيان المراد بهذه المصطلحات قبل الشروع في البحث، وهي:

أولا: الذَّات العَلِيَّة: المراد بذلك الله عزّ وجلّ، وقد جاء في صحيح البخاري: " لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منها في ذات الله "(١)، وقال خبيب الأنصاري حين حضر قتله:

وذلكَ في ذاتِ الإله وَإنْ يشأ يبارِكْ عَلَى أوصالِ شِلْوٍ ممزَّعِ(٢)

ثانيا: عِزّ الربوبية:

مما يتجلّى في كلام الله عن نفسه بضمير المتكلم: عزّ الربوبية، فما المراد بها؟ لقد جاءت إشارات العلماء إلى هذه الكلمة في مواضع متفرقة، ولمقاصد متنوعة تندّ عن الحصر، لأن كل ما في القرآن الكريم دالٌ على عز الربوبية، ورفعة الإلهية، ومن أبرز تلك الإشارات ما ذكره ابن القيم – رحمه الله – في (مدارج السالكين)، حين ذكر إحدى منازل " إياك نعبد وإياك نستعين " وهي: منزلة الخوف، ثم جعل يبيّنُ الفرق الدقيق بين الخوف، والهيبة، وأن تلك الهيبة تفصم المعاين بصدمة العزة، وهنا حدد معاني عزة الربوبية، فقال: " عزة الربوبية بمعانيها الثلاثة، وهي: عزة الامتناع، وعزة

---

(١) صحيح البخاري – ٣٣٥٨، وفي صحيح مسلم ٢٣٧١ بلفظ: " لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله "

(٢) صحيح البخاري – ط السلطانية– بولاق – ج ٩ / ١٢٠

القوة والشدة، وعزة السلطان والقهر، فإذا صدمت المعاين كادت تفصمه، وتمحق أثره، إذ لا يقوم لعزة الربوبية شيء "[١].

ومنها أن تذكر مقابل ذلّ العبودية، وقد ورد ذلك عن علماء قدامى ومحدثين، منهم: السيوطي – رحمه الله – حيث يقول نقلا عن ابن الخازن: " مراده أنّ الله قدّر الذنوب ليظهر ذلّ العبودية من النّادم، فيقابل بالعفو، فيظهر عزّ الربوبية " [٢] قال الشعراوي: " إن العبد إذا استحضر دائما علو عز الربوبية، وذل العبودية، فالشيطان لا يدخل عليه أبدا " [٣]، والآيات الدالة على عز الربوبية مبثوثة في القرآن الكريم كله، منها ما انعقد هذا البحث لدراسته، وغيرها كثير، وترى تنبيهات العلماء لذلك في مواطنه من كتب التفسير، منها: مخاطبة الله سبحانه للجماد مخاطبة العقلاء، ممن ذكره الطيبي، حيث يقول في قوله تعالى: " يا جبال أوبي معه والطير " [٤] قال: " تأويب الجبال معه والطير، كم بينهما ! ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى، من

(١) ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧١٥هـ) – مدارج السالكين في منازل السائرين –– دار عطاءات العلم بالرياض، ودار ابن حزم ببيروت – ط٢ – ١٤٤١ هـ – ج٢ / ١٨٧

(٢) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) – قوت المغتذي على جامع الترمذي –– تحقيق: ناصر بن محمد الغريبي – رسالة دكتوراة – جامعة أم القرى – قسم الكتاب والسنة – ١٤٢٤ هـ – ج٢ / ٦٠٨

(٣) محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) – تفسير الشعراوي، الخواطر ––– مطابع أخبار اليوم – ١٩٩٧ م – د ط – ج١٢ / ٧٧٠٦

(٤) سورة سبأ – ١٠

الدلالة على عزة الربوبية، وكبرياء الإلهية، حيث جعلت الجبال منزّلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا "[1]

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة بهذا العنوان – فيما أعلم – وإن كان مضمون البحث في عز الربوبية مبثوثا في كتب التفسير.

ثالثا: ضمير المتكلم:

قال ابن مالك – رحمه الله – في الألفية حين شرع في بيان المعارف [2]:

فمـــا لـــذي غيبـــة أو حضـــور كأنـــت وهـــو ســـم بالضـــمير

فالضمائر ثلاثة أقسام: ضمير المتكلم وضمير المخاطب، وتسمى: ضمير حضور، ويبقى القسم الثالث، وهو ضمير الغائب، " والضمير عند النحاة هو أعرف المعارف السبعة إلا الأسماء المختصة بالله تعالى، فهي أعرف من الضمائر، لأنها لا تحتمل غير ذلك، ولا تصلح لغير الله تعالى " [3]

---

(١) شرف الدين، الحسين بن عبدالله الطيبي (ت ٧٤٣هـ) – فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، حاشية الطيبي على الكشاف – – تحقيق: إياد محمد الغوج – جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم – ط١ – ٢٠١٣م – ج١٢ / ٥١٨

(٢) ابن مالك، أبو عبد الله، محمد بن عبدالله الطائي (٦٧٢ هجرية) – ألفية ابن مالك – دار التعاون – د ط – د ت – ١٢

(٣) جمال الدين إبراهيم عبد الرحمن محمد – الضمائر المتصلة، أنواعها، وكيفية إعرابها، دراسة نحوية تطبيقية في بعض آيات القرآن الكريم –– بحث منشور في مجلة القلزم للدراسات التربوية والنفسية واللغوية – مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر وجامعة بخت رضا – ع١٤ – ٢٠٢٢م – ١٠٥

وقد ناقش النحاة هذه المسألة، قال ابن الأنباري: " فإن قيل: فما أعرف هذه المعارف؟ قيل: اختلف النحويون في ذلك، فذهب بعضهم إلى أن الاسم المضمر أعرف المعارف، ثم الاسم العلم، ثم الاسم المبهم، ثم ما فيه الألف واللام، وأعرف الضمائر ضمير المتكلم، لأنه لا يشاركه فيه أحد غيره، فلا يقع فيه التباس، بخلاف غيره من سائر المعارف، والذي يدل على أن الضمائر أعرف المعارف أنها لا تفتقر إلي أن توصف كغيرها من المعارف "(١)

وأعرف الضمائر ضمير المتكلم، ثم المخاطب، ثم الغائب.

وبذلك يتبيّن أن الضمائر هي أعرف المعارف، يقول ابن الخشّاب(٢): " واعلم أنّ الأسماء المضمرة من قبيل المعارف التي لا يصح تنكيرها، هذا على الإبهام الذي فيها، وذاك أن الاسم لا يُضمر إلا بعد أنْ يُعرف كل العرفان، فظاهره قد أغنى في البيان "

قال الفخر الرازي (٣): " اعلم أن الألفاظ على نوعين: مظهرة ومضمرة، أما المظهرة فهي الألفاظ الدالة على الماهيات المخصوصة من حيث هي هي، كالسواد، والبياض، والحجر، والإنسان، وأما المضمرات فهي الألفاظ الدالة على شيء ما، هو المتكلم، والمخاطب، والغائب، من غير دلالة علي ماهية ذلك المعيّن، وهي ثلاثة: أنا، وأنت، وهو، وأعرفها: أنا، ثم: أنت، ثم: هو " وزاد – رحمه الله – الأمر بيانا عن

---

(١) أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت ٥٧٧ هجرية) – أسرار العربية – الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم – ط١ – ١٩٩٩م – ٢٤٣

(٢) ابن الخشاب، أبو محمد، عبدالله بن أحمد بن الخشاب (ت ٥٦٧هـ) – المرتجل في شرح الجمل – تحقيق ودراسة: علي حيدر – دمشق – د ط – ١٩٧٢م – ٢٨٤

(٣) الفخر الرازي، أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦ هجرية) – مفاتح الغيب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٢٠ هـ – ج٤ / ١٥٠

المضمرات، فقال [1]: " اعلم أنّ الأسماء المضمرة ثلاثة: أنا، وأنت، وهو، وأعرف الأقسام الثلاثة هو قولنا: (أنا) لأنّ هذا اللفظ لفظٌ يشير به كلّ أحدٍ إلى نفسه، وأعرفُ المعارف عن كلّ أحد نفسه... فثبتَ أنّ أعلى الأقسام هو قولنا: (أنا)، وأوسطها (أنت)، وأدناها (هو) "

الدراسات السابقة:

اتجهت الكثير من الدراسات للبحث في (الضمائر) عامة، من منطلقات مختلفة، منها: البحث في الضمائر من الوجهة النحوية، ومنها من بحث الضمائر في القرآن الكريم كله، أو في سورة منه، أو مجموعة سور، أو في غيره من مجالات التطبيق، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- (الضمائر في القرآن الكريم، دراسة نحوية وصفية – محمد إسماعيل يحيى فضل – رسالة دكتوراة – جامعة أم درمان – السودان – ٢٠١٨م)

أتت الرسالة في ٢٤٠ صفحة، مقسمة إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، الفصل الأول عن ضمائر المتلم في القرآن الكريم بنوعيها: المتصلة والمنفصلة، ثم الفصل الثاني عن ضمائر المخاطب في القرآن الكريم، ثم الفصل الثالث عن ضمائر الغائب في القرآن الكريم، ثم الفصل الرابع عن الضمائر الخاصة في القرآن الكريم، وهما: ضمير الفصل، وضمير الشأن، ثم خاتمة، والنتائج والتوصيات.

والبحث ذو وجهة نحوية وصفية، عامة، لأنه بحث كل الضمائر في القرآن الكريم، ولم يقتصر على ضمائر المتكلم عن الذات العلية، هذا التعميم، والوجهة النحوية الوصفية، جعلتا الرسالة تختلف عن البحث اختلافا جذريا.

---

(١) الفخر الرازي – المصدر نفسه – ج١ / ١٣٥

- (الإحالة بالضمائر في سورة الحاقة، دراسة إحصائية نصية – محمد نور الدين محمد عيد المنجد، وزاهر بن مرهون الداودي – مجلة الدراسات اللغوية – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – مج ٢٤ – ع١ – ٢٠٢١م)

يقع البحث في ٦٩ صفحة، وجمع فيه الباحثان كل الضمائر الواردة في سورة الحاقة، مع إجراء دراسة إحصائية لكل نوع من تلك الضمائر، ولكن لم يكن بحث ضمائر المتكلم عن الذات العلية موضع الاهتمام، لاتجاه البحث إلى الوجهة الإحصائية، ودراسة ما يحيل إليه الضمير.

- (الضمائر في العشر الأخير من القرآن الكريم – الفاتح حمد عبدالله النور – رسالة ماجستير – جامعة أم درمان – السودان – ٢٠١٦م)

هذه الرسالة أيضا ذات مقصد نحوي صرف، مع عمومية الدراسة لكل أنواع الضمائر.

وقد تفاوت تلك الدراسات قربا وبعدا من موضوع البحث، ولعل أكثر الدراسات قربا من هذا البحث:

- (ضمير الجلالة المفرد المتكلم في القرآن الكريم – محمد بن أحمد الدوغان – بحث منشور في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل – مج ٩ – ع١ – ٢٠٠٨)

يقع البحث في اثنتين وخمسين صفحة، وقسمه الباحث كما يلي:

مقدمة، ثم تمهيد عن ضمائر الجلالة في القرآن الكريم، وموقع ضمير المتكلم المفرد منها، ثم دراسة للسمات الأسلوبية لسياق ضمير المتكلم المفرد، وقد اقتصر الحقل التطبيقي للبحث على أربع عشرة سورة مختارة اختيارا عشوائيا، واستنتج من تحليل تلك السور إلى قلة ضمير الجلالة المفرد في القرآن الكريم، مقابل كثرة ضمير الجلالة

الجمع، وأن مواضع استعمال ضمير الجلالة المتكلم المفرد محددة الدلالات والموضوعات، بينما مواضع استعمال ضمير الجلالة المتكلم الجمع متنوعة في موضوعاتها ودلالاتها [١]، وأن مقامات ذكر ضمير الجلالة المتكلم المفرد هي: مقام الوحدانية، ومقام العبودية، ومقام خطاب المقربين، ومقام التعهد، ومقام التوعد [٢]

و ما دام البحث لم يدرس ضمير الجلالة المتكلم المفرد في القرآن الكريم كله فلا يمكن حصر مقامات ذلك النوع من الضمائر بما ذكره الباحث فقط، لأن محدودية حقل التطبيق، واقتصار الدراسة على ضمير الجلالة المتكلم المفرد، دون ضمير الجلالة المتكلم الجمع يستدعي مزيدا من البحث والتفتيش.

رابعا: الالتفات:

الالتفات لغة: جاء في لسان العرب: " لَفَتَ وجهه عن القوم: صَرَفَهُ... وتلفت إلى الشيء، والتفتُ إليه: صَرَفَ وجهه إليه "[٣]

وفي القرآن الكريم قال تعالى: " ولا يتلفت منكم أحد... "[٤]، وقال سبحانه: " أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا "[٥] قال الطبري: " لتصرفنا، وتلوينا "[٦].

الالتفات اصطلاحا: إن الناظر في أشعار العرب الفصحاء منذ الجاهلية وما بعدها يرى – بجلاء – وقوع الالتفات فيها، وكذلك كان الشأن في القرآن الكريم، وكلام

---

(١) محمد بن أحمد الدوغان – ضمير الجلالة المفرد المتكلم في القرآن الكريم — بحث منشور في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل – مج ٩ – العدد الأول – ٢٠٠٨ م – ١٢

(٢) محمد بن أحمد الدوغان – المرجع نفسه – ١٦

(٣) لسان العرب – لفت

(٤) سورة هود – الآية ٨١

(٥) سورة يونس – الآية ٧٨

(٦) الطبري – تفسير الطبري –

الفصحاء، ولذا تنبه العلماء ومتذوقو الأدب لهذا الفن. ويذكر العديد من الباحثين أن أقدم إشارة لذكر الالتفات اصطلاحا جاءت عند الأصمعي:

" إن أقدم إشارة لهذا المصطلح في تراثنا هي- فيما أعلم - تلك التي رويت عن الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) إذ يقول: " أتعرف التفاتات جرير، قلت: وما هو، فأنشدني:

أَتَنْسَى إذْ تودعنا سُليمى بِعُوْدِ بِشَامةٍ، سُقِيَ البِشَامُ

ثم قال: أما تراه مقبلا على شعره، إذ التفت إلى البشام فدعا له " [١]

ونبّه أحد الباحثين إلى أن اللغويين في كتبهم قد ذكروا الالتفات، وإن لم يسموه باسمه، ومنهم أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨ هـ) وسَمَّاهُ: تركا، وتحويلا، ورجوعا، في كتابه (مجاز القرآن)، والفرّاء (ت ٢٠٧هـ) في كتابه (معاني القرآن) وغيرهم كثير، وانتهى الباحث إلى أنّ اللغويين والنحاة لم يذكروا الالتفات باسمه في كتبهم، وإنما كانوا يطلقون عليه: الرجوع، والتحويل، والترك، ولم يتعمقوا في دراسته كما فعل البلاغيون، وأن أغلبهم لم يذكروا إلا نوعين من الالتفات، هما: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة [٢]

---

(١) عبد الولي عبد السلام حسين - الالتفات في القرآن الكريم، دراسة بلاغية تطبيقية على الربع الأول من القرآن الكريم - رسالة دكتوراه - جامعة أم درمان - ٢٠١٥ م - ٢، ٣

وقد أحال تلك الرواية إلى كتاب: الإيضاح في علوم البلاغة - محمد بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي - تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي - دار الجيل - بيروت - ط٣ - ٣٦١

(٢) عدنان عبد الكريم خليفات - أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، وجهود أشهر اللغويين والنحاة في دراسته ـــ مجلة البحوث والدراسات في الآداب والعلوم والعربية - جامعة الملك عبد لعزيز - س٢ - ع٤ - ٢٠٠٥ م - ٥٠، ٦١

واستمر الاهتمام بهذا الفن الرفيع، والملاحظ أن من العلماء من توسّع في مفهوم الالتفات، فجعل أي عدول في الكلام من أسلوب إلى أسلوب التفاتا، ومنهم من حدد الالتفات في اختلاف الضمائر في الكلام.

وبذلك فكأن هناك مفهوم عام للالتفات، ومفهوم خاص يندرج تحت ذلك العام.

فمثلا ابن المعتز عرّف الالتفات فقال: " انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر "[1]

فكأنَّ للالتفات قطبٌ، هو الالتفات في الضمائر، ثم يتسع ليمتد إلى كل انصراف من معنى إلى معنى، وبذلك يشمل فنونا عديدة مثل الاستطراد والاستدراك ونحوهما.

وبذا فللعلماء في مفهوم الالتفات قولان:

القول الأول: وهو أن الالتفات يكون في الضمائر، وجاء ذلك في مصادر عديدة منها:

في جمهرة أشعار العرب " أن العرب تخاطب الشاهد مخاطبة الغائب " [2]"

و قال السَّكَّاكِيُّ أن: " وأعلم أنّ هذا النوع، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة، لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر، بل الحكاية، والخطاب، والغيبة ثلاثتها ينقل كلّ واحد منها إلى الآخر، ويُسمّى هذا النقل: التفاتا، عند علماء علم المعاني، والعرب

(١) ابن المعتز، أبو العباس، عبد الله بن محمد (ت ٢٩٦هـ) – البديع في البديع – دار الجيل – ط١ – ١٩٩٠م – ١٥٢

(٢) أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب (ت ١٧٠ هـ) – جمهرة أشعار العرب – حققه: علي محمد البجادي – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ج١ /١٥

يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه " [١]

القول الثاني: الالتفات هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وممن قال بذلك:

ابن المعتز، فبعد أن ذكر الالتفات بالضمائر في صدر كلامه عن الالتفات، قال: " ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر "[٢]

والزمخشري الذي عرّفه بأنه: " انتقال الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية لسمع السامع وإيقاظا للاستماع إليه "، وابن الأثير، حيث قال: " كانتقالٍ من خطاب حاضر إلى غائب، أو من غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك "[٣]

وقد تتبّع ابن أبي الإصبع المصري تعريف الالتفات عند طائفة من العلماء ممن سبقه، وأنهم ذكروا لذلك نوعين، هما: انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة، وانصراف المتكلم من الإخبار إلى التكلم، ثم نبّه أنه إلى أنّ في الالتفات نوعٌ غير النوعين المتقدمين، حيث قال: " وهو أن يكون المتكلم آخذا في معنى فيمرّ فيه إلى أن يفرغ من التعبير عنه على وجه ما، فيعرض له أنه متى اقتصر على هذا المقدار

---

(١) السّكّاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السَّكَّاكِيّ الخوارزمي (ت ٦٢٦هـ) – مفتاح العلوم – حقّقه، وقدّم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ٢٠٠٠م – ٢٩٦

(٢) ابن المعتز – البديع – ج١ / ١٥٢

(٣) ابن الأثير، أبو الفتح، ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – د ط – ١٩٩٥م – ج٢ / ١٣٥

كان معناه مدخولا من وجه غير الوجه الذي بنى معناه عليه، فيلتفت إلى الكلام، فيزيد فيه ما يخلّص معناه من ذلك الدَّخَل "[1].

وكذلك العلويّ صاحب الطراز، حيث قال في تعريفه للالتفات: " هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلي خطاب، ومن خطاب إلى غيبة، لأن الأول يعمّ سائر الالتفاتات كلها، والحد الثاني إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير، ولا شكّ أن الالتفات قد يكون من الماضي إلى المضارع، وقد يكون عكس ذلك، فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره "[2]

وقد قسّم البلاغيون الالتفات إلى[3]:

- الالتفات الفعلي: وهو العدول بين أزمنة الفعل المختلفة من زمن إلى آخر
- الالتفات العددي: وهو العدول بين المفرد، والمثنى، والجمع من الألفاظ.
- الالتفات النوعي، أو الضميري، وهو العدول بين التكلم، والخطاب، والغيبة.

---

(١) ابن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع (ت ٦٥٤هـ) – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر – تحقيق: حفني محمد شرف – الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – ج١ / ١٢٣ وما بعدها

(٢) العلوي، يحيى بن حمزة الحسيني العلوي (ت ٧٤٥هـ) – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – المكتبة العصرية – بيروت – ط١ – ١٤٢٣هـ – ج٢ / ٧١

(٣) ميثم محمد نوري – فن الالتفات في القراءات السبع، سورة البقرة أنموذجا – بحث منشور في مجلة آداب الرافدين – جامعة الموصل – ٢٠٠٨ م – ع ٥٥ – ٢٠٣

منزلة فن الالتفات في البلاغة، وسره البلاغي:

أجمع علماء البلاغة العربية قاطبة على استحسان فن الالتفات، وبيان منزلته، وأثره العميق في إعلاء الأسلوب، وكشفه عن مكنون نفوس المتكلمين به، قال ابن الأثير – رحمه الله – عن الالتفات: " وهذا النوع وما يليه خلاصةُ البيانِ التي حولها يُدَنْدِن، وإليها تستندُ البلاغةُ، وعنها يُعَنْعِن "(١) بل سَمّاه: شجاعة العربية، حيث يقول: " ويُسمّى أيضا: شجاعة العربية، وإنما سُمّي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام، وذاك أنّ الرجل الشجاع يركبُ ما لا يستطيعه غيره، ويتورّد ما لا يتورده سواه، وكذلك الالتفات في الكلام، فإن اللغة العربية تختصّ به دون غيرها من اللغات "(٢).

فإذا كان الالتفات بهذه المنزلة فما سبب ذلك؟ وما سرّه البلاغي؟

شاع عند العديد من الباحثين أن سرّ الالتفات البلاغي: تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وهذا منقول عن الزمخشري في (الكشّاف) حين كان يفسّر الالتفات في سورة الفاتحة، حيث قال: " فإن قلت: لمَ عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يُسمّى (الالتفات) في علم البيان... وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرّفهم فيه، ولأن الكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختصّ مواقعه بفوائد "(٣).

---

(١) ابن الأثير – المثل السائر – ج٢/ ٣

(٢) ابن الأثير – المصدر نفسه – ج٢ / ٣

(٣) الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨هـ) – الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط٣ – ١٤٠٧هـ – ج١/ ١٤

ومع أن الزمخشري ذكر في آخر كلامه أن مواقع الالتفات تختص بفوائد، لكنه لم يبين أهمية ذلك، وإنما كان صدر كلامه عن سر الالتفات أنه للتطرية، وإيقاظ الإصغاء، وهذا القول غير دقيق.

ولذا ناقش ابن الأثير هذا القول مناقشة دقيقة نافعة، ولم يقبل أن يكون رأس الكلام عن سر الالتفات أنه يأتي تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا لإصغائه، فقال رادًّا على الزمخشري: " وليس الأمر كما ذكره، لأن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه، فإن ذلك دليل على أن السامع يملّ من أسلوب واحد، فينتقل إلى غيره ليجد نشاطًا للاستماع، وهذا قَدْحٌ في الكلام، لا وصفٌ له، لأنّه لو كان حسنًا لما مُلَّ،.... والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تُحَدّ بِحَدٍّ، ولا تُضبط بضابط "[1]، وقد اختصرت نقاش ابن الأثير للزمخشري في هذه المسألة، فلْتراجع، لما فيها من الفوائد، ودقة النظر، وقوله- رحمه الله -: "إنها لا تحد بحدّ " قول دقيق، لأن الالتفات إنما يأتي لمعنى مستكن في نفس المتكلم لا يمكن أن يتضح إلا بمجيء ذلك الالتفات، ومقامات هذه المعاني لا تُحَدُّ بحدّ، كما قال – رحمه الله –

وبذا فإن هذا الفن من القول يمكّن المتكلم من بيان معان ما كان لها أن تتضح للسامع إلا بالالتفات، ومما يرفع من منزلة كلام المتكلم ما يكون في ذلك الكلام من القدرة على الإبانة الدقيقة عن المعاني.

---

(١) ابن الأثير – المثل السائر – ج٢ / ٤

وقد وقع الالتفات في مواطن كثيرة من كلام الله عزّ وجلّ عن نفسه بضمير المتكلم، حيث يترافق ذلك في مواضع عديدة مع الالتفات، فحينا يلتفت من ضمير الغائب إلى المتكلم، وحينا من ضمير المتكلم إلى الغائب، ويسعى هذا البحث لتتبع تلك المواطن، وتدبرها، ومراجعتها.

الدراسات السابقة:

لقد كان الالتفات في القرآن الكريم موضع عناية الكثير من العلماء والباحثين، قديما وحديثا، ويمكن تصنيف الدراسات التي اعتنت بالالتفات في القرآن الكريم إلى قسمين:

الأول: ما جاء في ثنايا كتب التفسير كافة، حين يفسر العالم آية وقع فيها الالتفات، وهذا يشمل كل كتب التفسير.

الثاني: الكتب والأبحاث التي ركزت اهتمامها على دراسة الالتفات خاصة، وهذا النوع من الدراسات على نوعين:

دراسات بحثت الالتفات في القرآن الكريم كله.

ودراسات بحثت الالتفات في سورة، أو مجموعة سور فحسب، ومنها:

- فن الالتفات في القراءات السبع، سورة البقرة أنموذجا – ميثم محمد نوري – بحث منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة الموصل – ٢٠٠٨م – ع ٥٥.

المبحث الأول

بناء سورة البقرة، ومقصدها العام

من المعلوم لصيارفة الكلام، وعلماء البلاغة العربية أن الكلام العالي له مقصد عام يرمي إليه، بحيث ترى كل فروع الكلام متولدة عنه، راجعة إليه، ولذا لا بد لك باحث يدرس الكلام العالي سواء ما كان في ذروة الإعجاز وهو كلام الله تعالى في كتابه الكريم، أو الكلام البليغ ككلام الشعراء والبلغاء، أن لا يطلق أحكاما على ذلك الكلام إلا بعد دراسة بنائه، وإدراك وجه ترتيبه، ومقصده العام، حتى لو كانت دراسته تتجه لجزء منه فحسب، لأننا لا نستطيع أن نطلق أحكاما علمية دقيقة بالنظر إلى الجزء دون الكل.

ولذا فإن هذا المبحث يؤسس لكلّ ما سيأتي بعده من مباحث، لأن الحكم على ضمير المتكلم عن الذات العلية في البقرة، وفيما سواها من سور القرآن لا يمكن فهمه، ولا إدراك مراميه إلا بهذه المعرفة المؤسسة.

وقد انقسم العلماء في مسألة المقصد العام لسورة البقرة إلى فئتين:

الفئة الأولى: العلماء الذين لم يذكروا مقصدًا عامًّا لسورة البقرة:

حيث ترى المفسر يشرع في تفسير الآيات ابتداءً دون ذكر للمقصد العام، ومن أشهر العلماء في هذه الفئة: الطبري (ت ٣١٠هـ)– رحمه الله – في تفسيره[١]، وابن العربي (ت ٥٤٣هـ) في تفسيره [٢]، وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) [٣]، والشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) في تفسيره [٤]، وسواهم.

---

(١) الطبري – تفسير الطبري – ج١ / ١٦٧

(٢) ابن العربي، أبو بكر، محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ) – أحكام القرآن – تحقيق: علي محمد البجاوي – دار الفكر – د ط – د ت – ج١ / ٨

(٣) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج١ / ٥٧

(٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) – فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – مؤسسة الريان – بيروت – ط١ – ٢٠٠٤م – ج١ / ٣٣ وما بعدها.

وممن مضى على ذلك بعض الباحثين الذين اعتنوا بالتناسب في السور القرآنية، ومع ذلك لم يمتد اهتمامهم إلى المقصد العام، ومنهم: محمد عناية الله سبحاني[١]، فمع عنايته بالتناسب بين الآيات، إلا أنه لم يُعن بالمقصد العام للسورة.

الفئة الثانية: العلماء الذين حددوا مقصدًا عامًّا لسورة البقرة:

تفاوت العلماء في قدراتهم على تحديد المقصد العام لسورة البقرة، وتعددت آراؤهم فيه، فمنهم من حَامَ حوله وقاربه، ومنهم من نصَّ عليه وحدَّده، وحين نمعن النظر فيمن حدَّدَ مقصد سورة البقرة العام، نجد أن منهم طائفة اشتركوا في تحديد مقصد سورة البقرة، ومنهم طائفة انفردت بتحديد مقصد عام للبقرة لم يذكره سواهم .

فمما توافقت عليه أقوال عدد من العلماء أن المقصد العام لسورة البقرة هو:

(الهداية إلى الصراط المستقيم)، ورأوا أنّ ذلك منبثق من الدعاء في سورة الفاتحة: "اهدنا الصراط المستقيم "، ومنهم مَنْ قال ذلك نصا، ومنهم مَنْ قال ما ينبئ عن ذلك معنى.

من هؤلاء العلماء: ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) الذي يرى أن المدار في سورة البقرة على الهداية إلى الصراط المستقيم، حيث قال: " فحصل من هذه السورة بأسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال، أخذًا، وتركًا، وبيان شَرَفَ مَنْ أخذ، وسوء حال مَنْ تَنَكّب عنه، وكأنّ العباد لما عُلّموا أن يقولوا " زهدنا الصراط المستقيم

(١) انظر: محمد عناية الله سبحاني – البرهان في نظام القرآن – رسالة دكتوراة بجامعة الفلاح – الهند – دار الكتب – جدة – ط١ – ١٩٩٤م.

وكذلك الباحثة انتصار علي محمد أبو شاويش – التناسب الدلالي في سورة البقرة – مجلة رابطة الأدب الحديث – العدد ٧٩ – ٢٠١٣م – من ص٤١٥

" إلى آخر السورة، قيل لهم: عليكم بالكتاب إجابة لسؤالهم "[1]، وقد استطاع ببراعة، ودقة نظر الكشف عن العلاقات التي تربط كل أجزاء سورة البقرة بهذا المقصد العام.

وكذلك البقاعي (ت ٨٨٥هـ) – رحمه الله – في (نظم الدرر) حيث قال عن المقصد العام لسورة البقرة: " مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هدى، ليُتّبع في كل ما قال، وأعظم ما يَهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة "[2] ويزيد الأمر بيانا فيقول: " وإنْ شئت قلت: مقصود هذه السورة وصف الكتاب فقط، وما عدا ذلك فتوابع ولوازم، ولن يثبت أنه هدى إلا بإثبات أنه حقٌّ معنى ونظما "[3]

وكذلك السيوطي (ت ٩١١ هـ) قال: " افتتحت البقرة بقوله " الم ذلك الكتاب لاريب فيه " فإنه إشارة إلى الصراط المستقيم في قوله: " اهدنا الصراط المستقيم " كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم، قيل لهم: ذلك الصراط المستقيم الذي سألتم الهداية إليه، كما أخرج بن جرير وغيره من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا ك" الصراط المستقيم كتاب الله؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود موقوفا "[4]

---

(١) ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) – البرهان في تناسب سور القرآن – تحقيق: محمد شعباني – وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية – المغرب – د ط – ١٩٩٠م – ١٩٤

(٢) البقاعي – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – ج١/ ٥٥

(٣) البقاعي – المصدر نفسه – ج١ / ٧٨

(٤) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي (ت ٩١١ هـ) – تناسق الدرر في تناسب السور – دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة – ٢٠٠٢م – د ط – ٥٥

أما الفراهي (ت ١٣٤٩هـ) فذكر الهداية ضمن ما ذكر عن المعنى الجامع لسورة البقرة، حيث يقول: " فإن هذه السورة تجلّي أسارير هذه البعثة وأسرارها، وقِبلة هذه الملَّة وسُرّة دارها، ثم تهدي إلى أُسّ الديانة ومحورها، ومخّ الشريعة وجوهرها... وبالجملة فهي تفسير لسورة الفاتحة، وبيان لكلمة التوحيد، وشرح للصراط المستقيم... وإن شئت أن نعبّر عن عمودها بكلمة واحدة قلنا إنها إنجاز لعهد الله تعالى بخليله إبراهيم عليه السلام، وهذا العهد هو الجامع لحقيقة هذا الدين "[١]

وممن قارب القول بأن مقصدها العام الهداية، لكنه ضمّ معه غيره: الألوسي (ت١٢٧٠ هـ) حيث قال: " ووجه مناسبتها لسورة الفاتحة أنّ الفاتحة مشتملة على بيان الربوبية أولا، والعبودية ثانيا، وطلب الهداية في المقاصد الدينية والمطالب اليقينية ثالثا، وكذا سورة البقرة مشتملة على بيان الرب أولا، كما في " يؤمنون بالغيب " وأمثاله، وعلى العبادات وما يتعلق بها ثانيا، وعلى طلب ما يحتاج إليه في العاجل والآجل آخرا، وأيضا في آخر الفاتحة طلب الهداية، وفي أول البقرة إيماء لذلك في قوله:" هدى للمتقين " [٢]

وأمّا من المحدثين، فمنهم: محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ)، حيث يقول: " والكلام لم يخرج بهذا التنويع عن انتظامه في سِلكه، وحسن اتشاقه في سبكه، فهو دائر على قطب واحد في فلكه، وهو الكتاب، والمرسل به، وحاله مع المرسل إليهم " [٣]، وقد بدا

---

(١) عبد الحميد الفراهي (ت ١٣٤٩هـ) – نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان – دار الغرب الإسلامي– تونس – ط١ – ٢٠١٢م – ج١/ ٦٥ وما بعدها

(٢) الألوسي، شهاب الدين، السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – دار الفكر – بيروت – د ط – ١٩٨٧م – ج١/ ٩٨

(٣) محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) – تفسير المنار – دار المنار – القاهرة – ط٣ – ١٣٦٧هـ – ج١/ ٢٤٠

وعيه – رحمه الله – بالارتباط بين الفاتحة والبقرة في معنى الهداية، حيث يقول: "هدى للمتقين "

ومن العلماء الذين يظهر لي أنهم وفقوا في تحديد المقصد العام لسورة البقرة الشيخ عبد الرحمن بن المعلمي اليماني (١٣٨٦هـ)، فقد تنبّه لعلاقة مطلع سورة البقرة بسورة الفاتحة، ونفذ من خلال ذلك ببصيرة متفحصة إلى مقصد البقرة، حيث يقول عن ارتباط سورة البقرة بسورة الفاتحة، وعلاقة ذلك بمقصدها،: " سورة الفاتحة ارتباط آياتها ظاهر، وارتباطها بسورة البقرة سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ بيانه عند الكلام على الآية (١٤٢) من البقرة، وأيضًا النتيجة المطلوبة في الفاتحة: هداية الصراط المستقيم، صراط المُنْعَم عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين. وفي أول البقرة: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ ثم بيَّن فيها أحوال الفرق الثلاث، فكأنه في سورة البقرة شَرَعَ في إجابة الدعاء الذي في الفاتحة من وجهٍ، والله أعلم " [(١)]، والدعاء الذي جاء في الفاتحة في قوله تعالى: " اهدنا الصراط المستقيم "[(٢)]، وفي البقرة: " ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين "[(٣)] ثم توالت الآيات بيانا لذلك الهدى، وكيفية سبيله، ومن هم أهله، ومن الذين حادوا عنه، فالهدى القطب الأكبر الذي تدور حوله كلّ آيات سورة البقرة.

وأما الدكتور عبدالله درّاز – رحمه الله – فالذي يظهر لي أنّه ممن يرى أن الهداية هي المقصد العام لسورة البقرة، مع أنّه لم ينصّ على ذلك، ولكن هذا ما بدا من

---

(١) عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦هـ) – الرسالة الرابعة (في ارتباط الآيات في سورة البقرة) ضمن: مجموع رسائل في التفسير – تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي – دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة المكرمة – د ط – د ت – ١٣٩

(٢) سورة الفاتحة – ٦

(٣) سورة البقرة – ٢

كلامه، لأنه لما ذكر مقاصد سورة البقرة كان المقدمة: " التعريف بشأن القرآن، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدّا من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم "[١]، ثم ذكر أن المقصد الأخير من سورة البقرة هو تحقيق للوعد الكريم للمهتدين الذين ذكرهم في مطلع السورة، حيث يقول عن ختام البقرة: " لنعد بذاكرتنا إلى الآيات الخمس التي افتتحت بها سورة البقرة، لنرَ كيف تتجاوب تلك المقدمة مع هذه الخاتمة، ثم كيف يتعانق الطرفان... ألم يكن مطلع السورة وعدا كريما لمن سيؤمن بها ويطيع أمرها بأنهم أهل الهدى والفلاح؟ ألسنا نترقب صدى هذا الوعد؟ بلى، إننا ننتظر الآن أن تحدثنا السورة: هل آمن بها أحد، وهل اتبع هداها أحد؟... وهكذا سيكون مقطع السورة: بلاغا عن نجاح دعوتها، وفاء بوعدها لكل نفس بذلت وسعا في اتباعها، فتحا لباب الأمل على مصراعيه أمام هؤلاء المهتدين، فليبسطوا أكفهم مبتهلين: " ربنا... ربنا... ربنا... أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " " [٢]

وذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى القول بأن المقصد العام في سورة البقرة هو (الخلافة والاستخلاف)، منهم: مصطفى مسلم، حيث يرى أن محورها: " منهج خلافة الله في الأرض بين من أضاعوه، ومن أقاموه "[٣]

وذكرت إحدى الباحثات أنه قد " اتفق جمهور العلماء المعاصرين وبعض القدامى من المفسرين على أن محور السورة الأساس هو الاستخلاف في الأرض، وتحقيق العبودية، فالمتتبع لآيات سورة البقرة من مطلعها إلى خاتمتها يلحظ أنها تدور حول

---

(١) محمد عبد الله درّاز – النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم – دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – الدوحة –قطر – د ط – ٢٠٠٧م – ١٤٨

(٢) محمد عبد الله درّاز – النبأ العظيم – ١٩٣

(٣) مصطفى مسلم ومجموعة باحثين – التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم – الإمارات العربية المتحدة– جامعة الشارقة – ط١ – ١٤٣١هـ – ج١/ ٢٧

محور الاستخلاف في الأرض " [1]، وقد اطلقت الباحثة حكما عاما، هو قولها إن جمهور العلماء المعاصرين جعلوا محور البقرة الاستخلاف، ولكنها لم تذكر من هم هؤلاء العلماء، فهذا القول في الحقيقة أطلقه بعض الباحثين وليس جمهورهم.

وظن بعض الباحثين أن ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) جعل المعنى العام للبقرة: تقرير أصول العلم، قواعد الدين، والذي أراه أن ابن تيمية إنما أراد أن يبيّن أن البقرة تضم هذه الموضوعات وتحتويها، حيث قال: " وقد ذكرت في مواضع ما اشتملت عليه سورة البقرة من تقرير أصول العلم وقواعد الدين "[2] ثم شرع في سرد ما جاء في البقرة من موضوعات، مع بيان وجه تسلسلها وتتابعها، والذي يظهر لي أنه لم يوجّه الكلام للكشف عن المقصد العام – رحمه الله –

وممن انفرد بتحديد مقصد لم يذكره سواه لسورة البقرة: حسين بن علي الزومي، الذي ذهب إلى أنّ محورها العام هو: (المدافعة)، ويبدو من كلامه أنه يجعل هذا الرأي مبنيا على قول القائلين بأن محور سورة البقرة العام هو (الخلافة والاستخلاف) حيث يقول: " بدا للباحث بعد نظر وتأمل أن المحور الرئيس هو: المدافعة، وهو معنى قريب جدا من مفهوم الخلافة والاستخلاف، والذي هو مؤدى ونتيجة المدافعة"[3]

---

(١) هالة عدنان الصفدي – الوحدة الموضوعية في سورة البقرة دراسة موضوعية تطبيقية – رسالة ماجستير – الجامعة الإسلامية بغزة – ٢٠٢٠م – ٣١٨

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي الحنبلي (ت ٧٢٨هـ) – مجموع الفتاوى – جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – ٢٠٠٤م – ج١٤ / ٤١

(٣) حسين بن علي الزومي – محور الوحدة الموضوعية لسورة البقرة، دراسة في مقاصد السور – بحث منشور في مجلة المدينة العالمية – ٢٥٩

والمتأمل لنظم القرآن الكريم يتضح له أنّ المعاني في السورة الواحدة لا تأتي مرصوفة كقطع متراصة جامدة متتالية، بل تجد المعنى الجذري يتوالد منه ما يليه من المعاني، وتتفرع منه ما يتبعه من الأفكار، كما تتفرع الفروع من الجذع الأصل للشجرة، ثم تُثْنى.

وسورة البقرة أنصع مثال علي ذلك، وقد اجتهد العديد من العلماء والباحثين في تحديد مقاطع سورة البقرة، وأين يبدأ كل مقطع، وأين ينتهي، وهذا البحث من أشقّ ما يكون، وقد تقاربت أقوالهم في مواطن كثيرة، عربهم وعجمهم [(١)]، وإن كنت تجد بعضهم يكثر التفريع داخل المقطع، وبعضهم يجمع الفروع في مقطع.

ولكن العديد منهم لم يستضيء في تحديد المقاطع بما يهديه إليه علم النحو، وعلم البلاغة، وإنما أتت أقوالهم مما يظهر لهم من معاني السورة، مع أن التراكيب النحوية، والقوانين البلاغية تعين خير عون وأنفعه في كشف أوجه ترتيب المعاني في الكلام، فمثلا: غفل بعض الباحثين عن دلالة تكرار (إذ) في مواطن كثيرة من سورة البقرة، وكذلك لم يولوا العناية الواجبة لدلالة الفصل والوصل، وما تشير إليه من بدء مقطع، ونهاية مقطع.

وقد اجتهدت في تقديم ما أراه عن تركيب سورة البقرة، وبدا لي أن ذلك هو الشأن في تركيب القرآن كله، فالذي يظهر لي أنه تركيب متوالد، لأن بعض الباحثين يظن أن معاني القرآن متوالية متتابعة، وكأنها وحدات متراصة متسلسلة، فإذا تمت وحدة ما انتقل الكلام لما يليها، ولم يعد لذلك المعنى الذي انتهي وانقضى.

---

(١) انظر: محمد عبد الله درّاز – النبأ العظيم – ١٤٨ وما بعدها، وقارنه بما حدده أمين الصلاحي (ت ١٩٩٧م) في تحليله الذي نشره باللغة الأردية، ونشره مختصرا بالإنجليزية: منتصر مير، وكذلك ما ذكره كل من: نيل روبنسون، و ماثياس زاهنيزر، ودافيد إ سميث وغيرهم.

أما رؤية هذا البحث عن بناء القرآن فتذهب إلى أن هناك جذرًا أساسًا للقرآن كله، تمثله سورة الفاتحة، وكل معاني السورة متولدة منه، راجعة إليه، فإذا كانت سورة الفاتحة هي أُمّ الكتاب، فإن كل معاني القرآن متولّدة من سورة الفاتحة، راجعة إليها، ثم تتولد كل سورة من القرآن الكريم من معنى من معاني الفاتحة، وتفرّع، وتفصّل، وتُثْنَى على ما سبقها، وهذه الهيئة من البناء لم تقع، ولن تقع في بناء المخلوقين، من الإنس والجن.

وهذا القول يقف بنا على بيان بعض سمات بناء القرآن الكريم كما ذكرها الله في كتابه الكريم، وصفات كلام الله في الكتاب العزيز كثيرة، وقد جاءت في الكثير من كتب التفسير، والأبحاث والدراسات.

لكن الذي يتعلق بهذا البحث هو ما يخص البناء، وأهم تلك الصفات كما ذكرها الله سبحانه – وهي صفات متحققة في كل سورة من سور القرآن الكريم – ما يلي: أولها:أنّه مثاني، وثانيها: أنه متشابه، وثالثها: أنّ فيه تفصيلًا وتبيانًا، ورابعها: أنّه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، و خامسا: أثره في نفوس السامعين.

ونبدأ بالصفة الأولى، وهي أنّه (مثاني)، وقد جاء ذكر ذلك في موضعين من كتاب الله، الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ (١)، والموضع الثاني في قوله تعالى:﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ (٢)،

(١) سورة الحِجْر – الآية ٨٧

(٢) سورة الزُّمَر – الآية ٢٣

وإذا طبقنا الرؤية السابقة على موضوع البحث فإن الجذر الأساس في القرآن كله هو أن القرآن هدى من الله، وإذا كانت الفاتحة محورها طلب الهداية للصراط المستقيم "اهدنا الصراط المستقيم " [١]، فإن البقرة تبسط القول في بيان الاهتداء إلى الصراط المستقيم: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ "[٢] وقد قال السيوطي عن سورة البقرة: "فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم "[٣] ثم قال: " أن القاعدة التي استقرأتها في القرآن أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه، وقد استمر معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة"[٤]

فقوله تعالى﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ "[٥] هو الجذر الأساس الذي تولدت منه كل معاني السورة.

وأول ذلك بيان أصحاب الهداية " ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [٦]، وتأمل إحكام البناء، وما يضع لك من علامة على اتصال هذا المعنى، حين ذكر (هدى) في الآية الثانية، ثم قال في الآية الخامسة (على هدى)، وأتبع ذلك بالمقابلة، حين قابل أهل الإيمان بأهل

---

(١) سورة الفاتحة – الآية ٦

(٢) سورة البقرة – الآيتان ١،٢

(٣) السيوطي – تناسق الدُّرر في تناسب السور ٥٣

(٤) السيوطي – المصدر نفسه الصفحة نفسها

(٥) سورة البقرة – الآيتان ١، ٢

(٦) سورة البقرة – الآيات ٣، ٤، ٥

الضلال، ثم فرّعهم إلى صنفين: كافرهم، ومنافقهم، وضرب الأمثال لزيادة الإيضاح، ثم خاطب كل الناس: مؤمنهم وكافرهم بدعوة الإيمان والتقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ (١)، وقوله: " لعلكم تتقون " فهذه الآية متولدة من قوله سبحانه في أول صفة لأهل الإيمان: " هدى للمتقين " وضد ذلك من كان في ريب، وقد نبّه الفخر الرازي – رحمه الله – إلى العلاقة بين هذه الآية وكل ما سبقها من سورة البقرة، حين قال: " إنّ الله تعالى لمّا قدّم أحكام الفرق الثلاثة(٢)، أعني: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، أقبل عليهم بالخطاب(٣)، وهو من باب الالتفات المذكور في قوله تعالى " إياك نعبد وإياك نستعين "... والآيات المتقدمة كانت في حكاية أحوالهم، وأما هذه الآيات فإنها أمرٌ وتكليف " (٤)، وتابع – رحمه الله – التناسب بين ما سبق وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ "(٥) فقال: " لما أقام الدلائل الظاهرة على إثبات الصانع، وأبطل القول بالشريك، عقبه بما يدل على النبوة " (٦) وهنا يأتي التحدي: " وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله..." وتعود الدعوة للتقوى: " وإن لم تفعلوا ولن

---

(١) سورة البقرة ٢١

(٢) يرى الفخر الرازي والعديد من المفسرين أن أقسام الناس في أول البقرة ثلاثة أقسام: مؤمن، وكافر، ومنافق، ويرى مفسرون آخرون أنهما قسمان: مؤمن، وكافر، وقد مضيت في هذا البحث على القول الثاني.

(٣) يقصد أن الآيات من بدء البقرة إلى الآية ٢٠ كان كلام الله عن الناس بالغائب، فلما وصل إلى الآية٢١ التفت فخاطبهم وقال:
" يا أيها الناس... الآية ".

(٤) الفخر الرازي – مفاتيح الغيب – المجلد الأول / ٩١

(٥) سورة البقرة ٢٣

(٦) الفخر الرازي – مفاتيح الغيب المجلد الأول – ١٢٦، ١٢٧

تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة..." وكأن الناس أمام الدعوة إلى عبادة الله قسمان لا ثالث لهما: مؤمن فله البشرى، وكافر له النار التي وقودها الناس والحجارة، وهذا كله في المعاد، فبعد كلامه سبحانه عن التوحيد، ثم عن النبوة، جاء الكلام عن المعاد، وما فيه من ثواب المؤمن، وعقاب الكافر، قال الفخر الرازي عن الواو في قوله تعالى: " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات..." حيث قال: " إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين، كما تقول: زيد يُعَاقب بالقيد والضرب، وبشّر عمرا بالعفو والإطلاق "(١)

وبيّن الفخر الرازي – رحمه الله – وجه التناسب بين الآية ٢٨ وما سبقها من آيات، فقال: " اعلم أنه سبحانه لما تكلم في دلائل التوحيد، والنبوة، والمعاد إلى هذا الموضع، فمن هذا الموضع إلى قوله: " يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي..." في شرح النعم التي عمّتْ جميع المكلفين، وهي أربعة: أولها نعمة الإحياء وهي المذكورة في هذه الآية " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم..." ... وقوله تعالى: " هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء.." اعلم أن هذا هو النعمة الثانية التي عمّتْ كل المكلفين بأسرهم... " وإذ قال ربك إني جاعل في الأرض خليفة " اعلم أن هذه الآية دالة على كيفية خلق آدم عليه السلام، وعلى كيفية تعظيم الله تعالى إياه، فيكون ذلك إنعاما عاما علي جميع بني آدم، فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة... وقوله " فإما يأتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " دخل فيه الإنعام بجميع الأدلة العقلية والشرعية وزيادات البيان ".

(١) الفخر الرازي مفاتيح الغيب – المجلد الأول – ١٣٩

وحين قال سبحانه للناس: " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم... " عطف على ذلك بقصة سيدنا آدم، لأنه أول البشر، ولذا قال العلماء عن الواو في قوله تعالى: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة..." إنها عطفت قصة على قصة، قال الطبري: " ثم عطف بقوله: " وإذ قال ربك للملائكة" على المعنى المقتضى بقوله: " كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا.." إذ كان مقتضيا ما وصفت من قوله: اذكروا نعمتي إذ فعلت بكم وفعلت، واذكروا فعلي بأبيكم آدم إذ قلت للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة " (١)

وبعد قصة آدم عليه السلام يأتي بيان انقسام ذريته إلى مؤمن، وضال كافر: " قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (٢)

ثم يذكر الله للناس أوضح مثال على من كفر وكذّب، وهم كفرة بني إسرائيل، وأنصع مثال على من آمن وصدق، وهم أمة محمد، ويعود بأصل ذلك إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكل ذلك بَسْطٌ وبيانٌ للتفريع الذي تولّد في مطلع السورة من ذكر المتقين والكافرين.

ويرى الفخر الرازي أن توالد المعاني جاء كما يلي: " اعلم أنه سبحانه وتعالى لمّا أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولا، ثم أعقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر، عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود كسرا لعنادهم ولجاجهم، بتذكير النعم السالفة... واعلم أنه سبحانه ذكّرهم تلك النعم أولا على سبيل الإجمال... وفرّع على تذكيرها الأمر بالإيمان بمحمد عليه صلى الله عليه وسلم...ثم عقبها بذكر

(١) الطبري – تفسير الطبري ج

(٢) سورة البقرة – ٢٨، ٢٩

الأمور التي تمنعهم من الإيمان به، ثم ذكرهم تلك النعم على سبيل الإجمال ثانيا... تنبيها على شدة غفلتهم، ثم أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله " وأني فضلتكم على العالمين، مقرونا بالترهيب البالغ: " واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا" ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل، ومن تأمل وأنصف علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب السامع"[١]

ويمتد بيان حال كفرة بني إسرائيل من الآية (٤٠) إلى الآية (١٢٢)، وما استحقوا من غضب الله، وتحول النعمة إلي سواهم ممن آمن، وقنطرة التحول تأتي متمثلة في تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام من (١٢٤) إلى (١٥٢).

وكذلك عاد – رحمه الله – لبيان وجه الترتيب عند بدء الآيات عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وتحويل القِبلة، حيث قال في مطلع تفسيره للآية ١٢٤ من سورة البقرة في قوله تعالى: " وإذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمهن..." فقال: " اعلم أنّه سبحانه لما استقصى في شرح وجوه نِعَمِهِ على بني إسرائيل، ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم، ثم ختم هذا الفصل بما بدأ به، وهو قوله: " يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم... " إلى قوله: " ولا هم ينصرون " شرع سبحانه ههنا في نوع آخر من البيان، وهو أنْ ذَكَرَ قصة إبراهيم عليه السلام، وكيفية أحواله، والحكمة فيه: أنّ إبراهيم عليه السلام شخصٌ يعترف بفضله جميع الطوائف والمِلل، فالمشركون كانوا معترفين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، ومن ساكني حَرَمِهِ، وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضا مقرين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أمورا توجب على

(١) الفخر الرازي – مفاتيح الغيب – المجلد الثاني – الجزء الرابع ٣١

المشركين، وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم، والاعتراف بدينه، والانقياد لشرعه "[١]

وقد بدأ في شأن إبراهيم عليه السلام بدأ بالتكليف قبل التشريف، وكان التكليف الأول: " وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن..."[٢]، وهو التكليف بالإمامة، تلاه التكليف الثاني: " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أنْ طهرا بيتي..." [٣] فهذا التكليف بتطهير البيت الحرام، وهذا كله من حكاية أحوال إبراهيم عليه السلام، تلاه حكاية حال إبراهيم الرابع: " وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا..."[٤]، ثم الحال الرابع لإبراهيم عليه السلام، وهو بناء الكعبة، وما كان يدعوان الله به: " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل..." [٥]، ثم الحال الخامس لإبراهيم أنّ الله اصطفاه في الدنيا وأنه في الآخرة من الصالحين، وأنه أسلم استجابة لأمر الله، ثم الحال السادس من الأمور المستحسنة عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: " ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب..."[٦]، وقد ذكر هذا الترتيب الفخر الرازي وتقصّاه رحمه الله [٧]، وتأمل بدء الآيات بـ(إذ) تنبيها لهذا الترابط، وكذلك افتتاح مطلع الفكرة وخاتمتها بعلامة لفظية تشير إلي المطلع وإلى الختام.

---

(١) الفخر الرازي – مفاتيح الغيب – المجلد الثاني – الجزء الرابع – ٣٧

(٢) سورة البقرة – الآية ١٢٤

(٣) سورة البقرة – الآية ١٢٥

(٤) سورة البقرة – الآية ١٢٦

(٥) سورة البقرة – الآية ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩

(٦) سورة البقرة – الآية ١٣٢

(٧) مفاتيح الغيب – المجلد الثاني – الجزء الرابع – من ٣٧ وما بعدها

وهنا تتوالى الآيات عن أهل الإيمان وأوامر الله لهم، من جهاد، وحج، وصيام، وصلاة، وحدود، وشؤون الأسرة من زواج وطلاق، وعدة، وإنفاق، وهو مبدأ إسلامي راسخ يمتد القول فيه، وينبسط، وكأنه شرح لما في أول البقرة: " ومما رزقناهم ينفقون " ثم تأتي الخاتمة في ثلاث آيات تبرز إيمان أهل الإيمان، ورحمة الله بهم، وما هم عليه من اللجوء إلى الله والاستعانة به، كي يهتدوا ويسلكوا الصراط المستقيم، رغم ما قد يعتريهم من خطأ وزلل ونسيان، وما يواجهون من عداوة الكفر وحربهم وأذاهم، ويسألونه العفو والمغفرة والرحمة، كي يمنحهم شرف نصر أوليائه على أهل الضلال.

فالسورة من أولها إلي آخرها كما ترى من التوالد الذي يأخذ بعضه برقاب بعض، وكل آية تزيد الأخرى بيانا، وكل مقطع يمتزج بما قبله وبما بعده غاية التمازج والترابط.

المبحث الثاني

ضمير الجلالة المتكلم في سورة البقرة، و البناء النحوي

مدخل

حين عقدت العزم على بحث هذه المسألة في سورة البقرة كان أول ما بدأت به: جمع كل المواضع التي ورد فيها ضمير الجلالة المتكلم بنوعيه: الجمع، والمفرد، في تلك السورة الشريفة.

فلما تمّ لي ذلك وقفت حائرة، من أي السبل أبدأ؟ أتكون البداية من سياقات ذكر ضمير الجلالة المتكلم، أم من مواضع ذكره من بناء السورة؟ وقلّبتُ أوجه الرأي، فبدا لي أن الأساس الذي ينبغي الانطلاق منه هو الحقل النحوي فالأساس والمبدأ هو: تصنيف ما جاء من ضمير الجلالة المتكلم في سورة البقرة إلى نوعيه الأساسين: الجمع، والمفرد، وما يتفرع من ذلك من تصنيف إلي ظاهر، ومستتر، وما ينطوي تحت الضمير الظاهر من متصل، ومنفصل؛ ليتبين لنا بجلاء عندئذ أي تلك الأحوال كان الأكثر حضورا في سورة البقرة.

- جاء ضمير المتكلم عن الذات العلية بنوعيه في سورة البقرة في مئة وخمسة وعشرين موضعا، منها: ثلاثة وسبعون موضعا لضمير الجلالة المتكلم الجمع، واثنان وخمسون موضعا لضمير الجلالة المتكلم المفرد.

وكنت قد جعلت نصب عيني تقصي مواضع ضمير الجلالة المتكلم الظاهر المنفصل للجمع، أو للمفرد، وهما الضميران: (نحن)، و(أنا)، وشعرت أن لهما من خصوصية التجلي، ونورانية الربوبية وعزتها، وبهاء الألوهية وجلالها ما يذهل الأنفس، ولم يأتِ في سورة البقرة ضمير الجلالة المتكلم الجمع المنفصل (نحن) مطلقا، وإنما جاء ضمير الجلالة المتكلم، المفرد، المنفصل (أنا)، مرة واحدة فقط في سورة البقرة، وهو أول موضع يرد فيه في كتاب الله العزيز، في قوله تعالى: " وأنا التواب الرحيم ".

ضمير الجلالة المتكلم الجمع:

من المعلوم في علم النحو أن ضمير المتكلم الجمع ينقسم إلى: ضمير ظاهر، أو ضمير مستتر، ثم يندرج تحت كل منهما أحوال الرفع والنصب والجر، وبعد تصنيف ما جاء في سورة البقرة من ضمير الجلالة المتكلم الجمع من حيث البناء النحوي كما يلي:

أولا: أحوال ضمير الجلالة المتكلم الجمع إذا كان ظاهرا:

الغالب مجيء ضمير الجلالة المتكلم الجمع: ضميرا متصلا ظاهرًا، حيث بلغ مجموع ذلك تسعة وخمسين موضعًا.

أكثرها ما جاء ضمير رفع متصل، في أربعة وخمسين موضعا.

يليه ما جاء جر متصل، في ثلاثة مواضع.

وأقلها ما جاء ضمير نصب متصل في موضعين فحسب، ومجموع ذلك تسعة وخمسون موضعا كما سبق بيانه.

أما ضمير المتكلم الجمع المنفصل عن الذات العلية، فلم يرد مطلقا في سورة البقرة.

ثانيا: أحوال ضمير الجلالة المتكلم الجمع إذا كان مستترا:

جاء ضمير الجلالة المتكلم الجمع ضميرا مستترا في محل رفع فاعل تقديره (نحن) في سورة البقرة في أربعة عشر موضعا هي: (نغفر، سنزيد، نتلوها، ننسخ، ننسها، نأت، لنعلم، نرى، لنولينَّكَ، لنبلونكم، بيناه، ننشزها، نكسوها، نجعلك). ويوضح الشكل التالي ما ذكرنا.

ضمير الجلالة المتكلم الجمع
المستتر
الظاهر
جاء ١٤ مرة، فيها كلها كان ضمير امستترا تقديره (نحن) في محل رفع فاعل
متصل
منفصل
ضمائر الجر المتصلة
ضمائر نصب متصلة
ضمائر رفع متصلة
جاءت ثلاث مرات فقط
)على عبدنا، بآياتنا، آياتنا(
جاءت مرتين:
– لفعل منفي (وما ظلمونا(
– ضمير متصل مبني في محل نصب اسم إن (إنا) آية ١١٩
جاءت ٥٤مرة
)نا) ضمير رفع متصل في محل رفع فاعل

جدول توضيحي لمواضع ضمير المتكلم الجمع الظاهر والمستتر في سورة البقرة:

مواضع ضمير المتكلم الجمع الظاهر في سورة البقرة.		مواضع ضمير الجمع المستتر (نحن) في سورة البقرة
ضمير الجمع المتصل: جاء في ٥٩ موضعا، يمكن تصنيفها كما يلي: • ضمائر الرفع المتصلة: جاءت في ٥٤ موضعا، هي: (رزقناهم، نزلنا، قلنا، وقلنا، وقلنا، قلنا، نجيناكم، فرقنا، فأنجيناكم، أخذنا، آتيناهم، وأغرقنا، ورفعنا، جعلنا، واعدنا، آتيناكم، وعهدنا، عفونا، فقلنا، اصطفيناه، فجعلناها، جعلناكم، آتينا، فقلنا، جعلنا، بعثناكم، وإذ أخذنا، آتيناهم، وإذ أخذنا، أرسلنا، وظللنا، ولقد آتينا، ما أنزلنا، وأنزلنا، وقفينا، رزقناكم، وآتينا، ما رزقناكم، وأيدناه، آتيناهم، قلنا، وإذ أخذنا، ورفعنا، فأنزلنا، فقلنا، ما آتيناكم، ولقد أنزلنا، قد بينا، أرسلناك، فضّلنا، وآتينا، وأيدناه،	ضمير الجمع المنفصل: (نحن) لم يرد مطلقا في البقرة ظاهرا.	جاء في ١٤موضعا، هي: (نغفر، لنعلم، سنزيد، نتلوها، نَرى، لنولينك، ننسخ، نُنْسِها، لنبلونكم، نأتِ، بيّناه، لنجعلك، ننشزها، نكسوها)

رزقناكم، أخرجنا) • ضمائر النصب المتصلة: جاءت في موضعين فقط، هما: (ما ظلمونا، إنَّا) • ضمائر الجر المتصلة: • جاءت في ثلاثة مواضع، هي: (عبدنا، بآياتنا، آياتنا)		

ضمير الجلالة المتكلم المفرد في سورة البقرة:

جاء ضمير الجلالة المتكلم المفرد بنوعيه: الظاهر والمستتر اثنتين وخمسين مرة في سورة البقرة، على النحو التالي:

أعلى نسبة كانت لضمير المتكلم المفرد الظاهر متصلا ومنفصلا، حيث بلغ مجموع ذلك ٣٩ مرة.

وكان أكثرهما حضورا هو ضمير المتكلم الظاهر المتصل، حيث بلغ وحده ستا وثلاثين مرة، بينما بلغ عدد مرات مجيء ضمير المتكلم الظاهر المنفصل ثلاث مرات فقط، واحدة منها لضمير متكلم منفصل في موضع رفع، هو الضمير (أنا) عن الذات العلية، وهو أول موضع يأتي في القرآن الكريم بهذه الصيغة، وذلك في قوله تعالى: "وأنا التواب الرحيم " [١]

(١) سورة البقرة ١٦٠

والموضعين الآخرين للضمير (إياي) تكرر مرتين.

أما ضمير المتكلم المستتر فقد جاء في ثلاثة عشر موضعا من سورة البقرة.

ويوضح الشكل التالي ذلك:

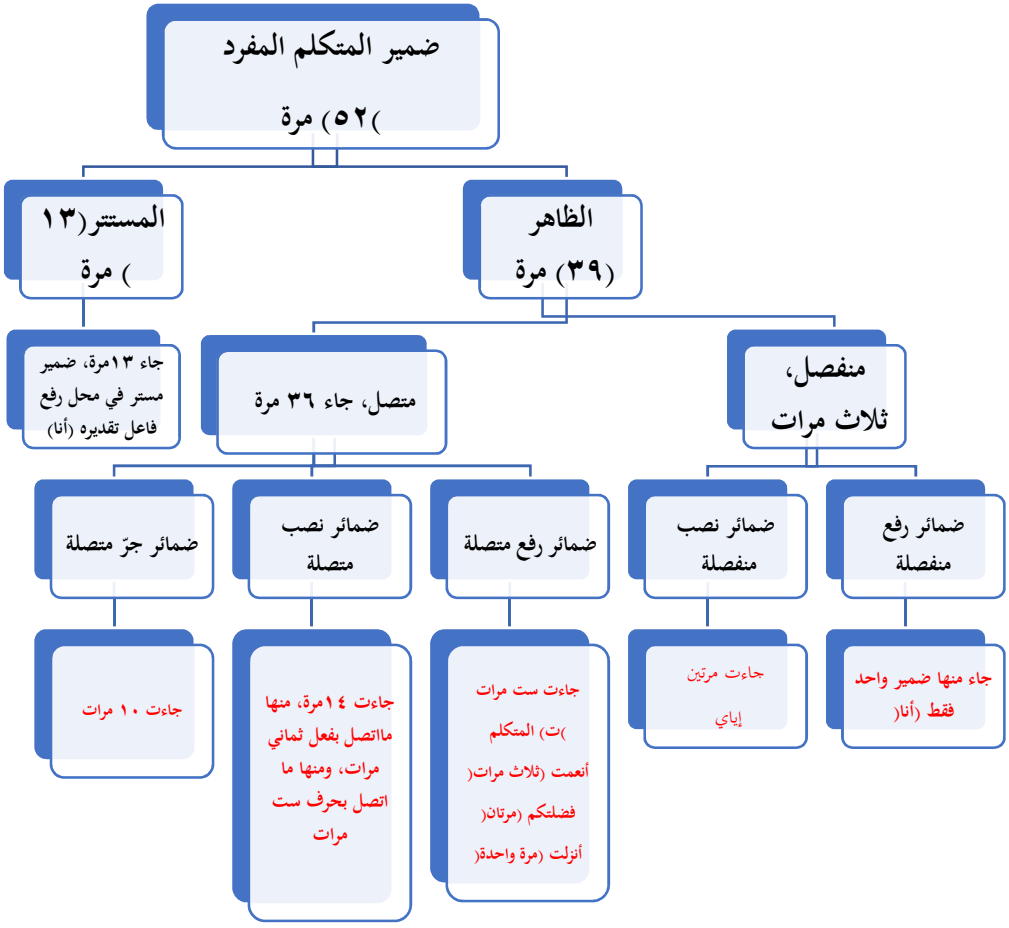

جدول توضيحي لمواضع ضمير المتكلم المفرد الظاهر المنفصل في سورة البقرة، حيث جاء ثلاثة مواضع:

ضمير رفع متكلم مفرد منفصل ضمير نصب متكلم مفرد منفصل:

ضمير رفع متكلم مفرد منفصل	ضمير نصب متكلم مفرد منفصل

أنا	**إياي، إياي**

جدول توضيحي لمواضع ضمير المتكلم المفرد الظاهر المتصل في سورة البقرة:

مواضع ضمير المتكلم المفرد الظاهر المتصل المرفوع (٦ مواضع)	**مواضع ضميرا المتكلم لمفرد الظاهر المتصل المنصوب (١٥ موضعا)**		**مواضع ضمير المتكلم المفرد الظاهر المتصل المجرور (١٥ موضعا)**	
أنعمتُ، أنعمتُ، أنعمتُ فضلتُكم، فضلتُكم أنزلتُ. **ست مواضع**	**ضمائر نصب متصلة بفعل:** **أنبئوني، اخشوني اذكروني، لا تكفرونِ، فارهبون، دعاني، واتقون (مرتين).** ثمانية مواضع	**ضمائر نصب متصلة بحرف:** **(إنّي) خمس مرات (أنّي) مرتين مجموع ذلك** سبعة مواضع	**ضمائر جر متصلة باسم:** **هُداي، نعمتي، نعمتي، نعمتي،نعمتي عهدي،بعهدي بيتي، بآياتي، عبادي** عشرة مواضع	**ضمائر جر متصلة بحرف:** **مني، لي، عني، لي، بي** خمسة مواضع

جدول توضيحي لمواضع ضمير المتكلم المفرد المستتر في سورة البقرة، حيث جاءت في ثلاثة عشر موضعا:

ضمير متكلم مفرد مستتر بعد الفعل في أحد عشر مواضع.	**ضمير متكلم مفرد مستتر بعد اسم الفاعل، في موضعين.**
(أعلم، أعلم، وأعلم، أقل، أتوب، أجيب، أوفِ، لأتم، أذكركم، أمتعه، أضطره)	**إني جاعلٌ، وإني جاعلك.**

والتقدير في كل تلك المواضع: فاعل مستتر جوازا تقديره: (أنا)	والتقدير في الموضعين: ضمير مستتر جوازا، تقديره (أنا)، في محل فاعل لاسم الفاعل (جاعل)

المبحث الثالث

ضمير الجلالة المتكلم والصيغ اللغوية

في هذا المبحث يأتي فحص الصيغ اللغوية التي جاء فيها ضمير المتكلم بنوعيه: الجمع، والمفرد، لمعرفة الأكثر حضورا، وما دونه، وما وراء ذلك من دلالات.

- الفعل (رَزَقَ) اتصل به ضمير المتكلم الجمع الدال على الذات العلية، في قوله تعالى " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون"[١] ففي هذه الآية الشريفة جاء أول ضمير متكلم عن الذات العلية في القرآن الكريم كله، واتسم ذلك الموضع بأن الضمير ضمير متكلم جمع ظاهر متصل، وقد اتصل بالفعل الماضي (رَزَق) للحث على الإنفاق، " ومما رزقناهم ينفقون "، ومن العجيب أن آخر موضع جاء فيه ضمير المتكلم عن الذات العلية في سورة البقرة كان للحثّ على الإنفاق أيضا، في قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض... "[٢]
- هناك سياقان جاء فيهما ضمير المتكلم عن الذات الإلهية، بكلا نوعيه، الجمع والمفرد، هما: سياق الامتنان بالنعم، وسياق الابتلاء بالنقم.
- كان مجيء ضمير المتكلم عن الذات الإلهية في سياق الامتنان بالنعم هو الغالب غلبة كبيرة في كلا نوعي ضمير المتكلم.
- هناك صيغ تكرر اقترانها بضمير المتكلم الجمع، وصيغ لم تتكرر، وإنما جاءت مرة واحدة فحسب.

---

(١) سورة البقرة ٣

(٢) سورة البقرة – ٢٦٧

ولبيان ذلك ينبغي أن نفصّل ما اقترن بضمير المتكلم الجمع، وما اقترن بضمير المتكلم المفرد، كما يلي.

الصيغ اللغوية المقترنة بضمير المتكلم الجمع عن الذات العلية:

بعد فحص الصيغ اللغوية المقترنة بضمير المتكلم الجمع عن الذات العلية، توصّل البحث إلى عدد من الملحوظات، أولاها: أن تلك الصيغ اللغوية جاءت في سياقين، هما: الامتنان بالنعم، وهو الغالب على تلك الصيغ، والقليل منا جاء في سياق الابتلاء بالنقم.

أولا: الصيغ اللغوية المقترنة بضمير المتكلم الجمع، في سياق الامتنان بالنعم:

الصيغة اللغوية المقترنة بضمير المتكلم الجمع عن الذات العلية الأكثر تكرار في سورة البقرة في هذا السياق هي الفعل:

(آتينا)، حيث تكررت عشر مرات، وهي أعلى نسبة تكرار لصيغة لغوية مقترنة بضمير المتكلم الجمع عن الذات العلية.

- يليها عدة صيغ لغوية تكرر كل منها أربع مرات، مقترنا بضمير المتكلم الجمع عن الذات العلية، وهي:

(رزقنا)، (قُلنا)، (أخذنا) .

- ثم الصيغ اللغوية المقترنة بضمير المتكلم الجمع، التي تكررت ثلاث مرات، وهي: (جعلنا)، و (أنزلنا).
- ثم التي تكررت مرتين، وهي: (أرسلنا)، و(أيّدنا)، و(رفعنا)، و(بيّنا).
- وأخيرا التي جاءت مرة واحدة، وهي صيغ كثيرة، هي: (نزّلنا)، (فرقنا)، (أغرقنا)، (واعدنا)، (عفونا)، (بعثنا)، (ظلّلنا)، (نغفر)، (سنزيد)،(ننسخ)،

(نُنْسها)، (قفينا)، (أخرجنا)، (نتلوها)، (فضلنا)، (ننشزها)، (نكسوها)، (نرى)،(اصطفيناه).

- كل الصيغ اللغوية جاءت أفعالا، إلا اثنتين، هما: (عبدنا) وجاءت مرة واحدة، و(آياتنا) وجاءت مرتين، في قوله تعالى: " والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "(١)، وقوله سبحانه: " كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا...."(٢)، فإضافة الآيات إلى ضمير المتكلم الجمع الدال على الذات العلية فيه امتنان الله على الناس بإنزال آياته لهم، سواء من آمن منهم، ومن كفر.

ثانيا – الصيغ اللغوية المقترنة بضمير المتكلم الجمع، في سياق الابتلاء بالنقم:

جاءت في أربعة مواضع فحسب، دون تكرار:

١. " فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء..." (٣)
٢. " فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين " (٤)
٣. " فجعلناها نكالا لما بين يديها..."(٥)
٤. " وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون "(٦)

---

(١) سورة البقرة – ٣٩
(٢) سورة البقرة ١٥١
(٣) سورة البقرة ٥٩
(٤) سورة البقرة ٦٥
(٥) سورة البقرة ٦٦
(٦) سورة البقرة ٥٧

ثاني تلك الملحوظات أن تلك الصيغ اللغوية منها ما اختص بسياق النعم، ومنها ما اختص بسياق الابتلاء بالنقم، ومنها ما جاء في السياقين، وتتحدد دلالته وفق السياق الذي جاء فيه.

والصيغ التي اختصت بسياق الامتنان بالنعم كثيرة جدا: (آتينا)، و(رزقنا)، و(أرسلنا)، و(أيّدنا)، و(رفعنا)، و(بيّنا)، و(نزّلنا)، و(فرقنا)، و(أغرقنا)، و(واعدنا)، و(عفونا)، و(بعثنا)، و(ظلّلنا)، و(نغفر)، و(سنزيد)، و(ننسخ)، و(نُنْسها)، و(قفينا)، و (أخرجنا)، و(نتلوها)، و (فضلنا)، و (ننشزها)، و (نكسوها)، و (نرى)، و(اصطفيناه).

والصيغ التي اختصت بالابتلاء بالنقم صيغتان فقط، الأولى في قوله تعالى: " وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون "(١)

و الثانية في قوله تعالى: " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين "(٢)

والصيغ التي وردت في السياقين ثلاث صيغ، هي:

(قلنا)، جاءت في سياق النعم أربع مرات، وفي سياق الابتلاء بالنقم مرة واحدة.

(جعلنا) جاءت في سياق الامتنان بالنعم ثلاث مرات، وفي سياق الابتلاء بالنقم مرة واحدة.

(أنزلنا) جاءت في سياق الامتنان بالنعم ثلاث مرات، وفي سياق الابتلاء بالنقم مرة واحدة

---

(١) سورة البقرة – ٥٧

(٢) سورة البقرة – ١٥٥

الملحوظة الثالثة: كل الصيغ اللغوية المقترنة بضمير المتكلم الجمع في سورة البقرة جاءت أفعالا، إلا في موضعين، كانتا أسماء، وهما:(عَبْدنا)، و(آياتنا).

الصيغ اللغوية التي اقترنت بضمير المتكلم المفرد عن الذات العلية:

الملحوظة الأولى: الصيغ اللغوية التي اقترنت بضمير المتكلم المفرد عن الذات العلية جاءت كلها في سياق الامتنان بالنعم، ولم يأتِ منها في سياق الابتلاء بالنّقم إلا في موضعين:"...قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره.. " (١)

الملحوظة الثانية: تنوعت الصيغ اللغوية التي اقترن بها ضمير المتكلم المفرد في سورة البقرة، فمنها ما كان حرفا، وهو الأقل، في اثني عشر موضعا، ومنها ما كان اسما، وهذا في المنزلة الوسطى، حيث جاء في خمسة عشر موضعا، وكانت النسبة الكبرى للاتصال بالفعل، في خمسة وعشرين موضعا من سورة البقرة.

الملحوظة الثالثة: من حيث الدلالة فإن معنى النعمة سطع في مواطن كثيرة من مجيء ضمير المتكلم المفرد الدال على الذات العلية، فقد جاء الفعل (أنعمت) ثلاث مرات، وجاء الاسم (نعمتي) كذلك ثلاث مرات، مجموع ذلك ستة مواضع، ومما يتبع النعمة معرفة الناس أن علم الله محيط بكل شيء، ولذا تكرر الفعل (أعلم) ثلاث مرات، كذلك الفعل (فضلتكم) الذي جاء مرتين، واسم الفاعل (جاعل) تكرر كذلك مرتين، والفعل: (اذكروني اذكركم)، وإسناد العهد إلى ضمير المتكلم المفرد مرتين (عهدي)، ودعوة الناس إلي تقوى الله، حيث تكرر ذلك مرتين: (اتقون) وتقوى الله رأس كل نعمة وسعادة ونجاة.

---

(١) سورة البقرة ١٢٦

المبحث الرابع

ضمير الجلالة المتكلم وعلاقته بالالتفات في سورة البقرة

السؤال المحوري لهذا المبحث هو: كيف يحكم دارسُ كلامٍ ما أنه قد وقع في ذلك الكلام التفات؟

الجواب: أن عليه أن ينظر إلى بداية ذلك الكلام، ويحدد الأسلوب الذي بدأ به المتكلم، وكل عدول يأتي بعد ذلك فهو التفات.

فإن سأل سائل: ما الأصل في كلام الله عن نفسه بالضمائر في القرآن الكريم عامة؟ وفي كل سورة خاصة؟

هذا أصعب وأشقّ ما واجهت في البحث !

وبعد تدبّر بدا لي: بما أنّ السورة الأولى في كتاب الله العزيز هي سورة الفاتحة، ولم يرد فيها ضمير المتكلم عن الذات العلية، وإنما كان كلام الله عن نفسه فيها بضمير الغائب، فهي مبدأ كلام الله عن نفسه، وذاته العلية، ثم أتت سورة البقرة، وجاء كلام الله عن نفسه في مقدمتها بضمير المتكلم: " مما رزقناهم ينفقون "، بناء على ذلك يرجّح هذا البحث أن أصل كلام الله عن نفسه بالضمائر في القرآن الكريم عامة هو بضمير الغائب – سبحانه العليّ الجبار المتكبر – ثم من رحمته ولطفه بعباده التفت في سورة البقرة، فجاء بضمير المتكلم عن ذاته العلية، وهذه خصوصية لكلام الله عن نفسه، لا تقع في كلام المخلوقين، فلو كنا ننظر في ديوان شاعر ما من حيث الالتفات في كلامه، فإننا ننظر لذلك في داخل كلّ قصيدة، ولا نزعم بأن هناك التفاتًا بين قصيدة وقصيدة تليها، ومثل ذلك يقال في علاقة خاتمة سورة ما بمطلع سورة أتت بعدها، فهذا لا يقع في كلام المخلوقين، وهو مما ينفرد به كلام الله في كتابه العزيز.

فما دامت سورة الفاتحة هي مبدأ كلام الله لخلقه في كتابه العزيز، لذا اعتمدت النظر إلى ما جاء فيها من أسلوب فيما يخصّ الضمائر الدالة على الذات العليّة، وما يأتي في السورة التي بعدها من تغيير في ضمائر المتكلم الدالة على الذات العليّة يُعَدّ التفاتًا عن ذلك الأصل الذي جاء في الفاتحة.

فهذا الأساس الأول لتحديد الالتفات في ضمائر المتكلم عن الذات العلية في سورة الفاتحة، واجتهدتُ فسميّته (الالتفات الأكبر) وهو الالتفات الذي وقع بين سورة الفاتحة وما تلاها من سور القرآن، وأولها سورة البقرة.

وتحت هذا الأساس يأتي أساسٌ آخر متفرعٌ منه، وهو: النظر في أصل الكلام داخل السورة نفسها فيما يخصّ ضمائر المتكلم الدالة على الذات العليّة، واجتهدت في تسميته (الالتفات الأصغر)، وهو الذي يقع بين ما جاء من ضمائر المتكلم عن الذات العلية في أول السورة، وما تلا ذلك من ضمائر مختلفة عنه.

فالفحص يكون من زاويتين: القرآن عامة، ثم لكل سورة خاصة، ففي القرآن عامة أول ما جاء كلام الله عن نفسه بضمير الغائب في سورة الفاتحة، وما تلتفت إليه السور عن ذلك بعد الفاتحة من الالتفات الأكبر.

ثم بالنظر إلى سورة البقرة خاصة نجد أن أصل الكلام عن الله جاء بضمير المتكلم، فما يأتي بعده يكون التفاتا أصغر.

وهذا الترجيح هو أصعب ما واجهت في البحث كما قلت سابقا، لأني تأملت أمرين، بناء على سؤالين، الأول: ما الأصل في كلام الله عن نفسه بالضمائر في القرآن الكريم؟

وينبثق من ذلك السؤال الثاني: كيف نحكم بوقوع الالتفات في كلام متكلم ما؟ أليس بالنظر إلى بداية كلامه؟ فما بدأ به كلامه من أسلوب سيكون الأصل، وما يأتي من عدول عن ذلك الأصل فهو التفات، فإذا كان ذلك كذلك فإن أصل الأسلوب في كل

سورة هو ما جاء في مقدمتها، وينبغي التفريق بين مقدمة السورة واستهلالها، فالاستهلال هو أول المقدمة.

وينبغي التنبيه إلى أن الالتفات الأصغر، وهو الذي يقع في السورة الواحدة، إما أن يكون داخليا في الآية الواحدة نفسها، أو خارجيا [١]، حين يقع بين آيتين، فهما بذلك قسمان:

القسم الأول: الالتفات الداخلي، وهو الالتفات في الآية نفسها.

القسم الثاني: الالتفات الخارجي، وهو الالتفات الواقع بين آيتين.

كل هذه الأقسام إنما هي اجتهاد لم يرد في المصادر التي وقفت عليها، وأقول ذلك تنبيها للباحثين، ودعوة لهم للمراجعة والتثبت، فإنْ أصبتُ فيما ذهبتُ إليه فمن فضل الله وكرمه، وإنْ أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله ألا يفوتني أجر الاجتهاد، إن فاتني أجر الإصابة، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الالتفات الأكبر:

لعل وصف الله تعالى كلامه بأنه (مثاني) مما يضيء لنا تصور مسارات الالتفات الأكبر في القرآن الكريم، من خلال النظر إلى مقدمات السور القرآنية، فيأتي الالتفات، ثم ينثني الأسلوب ليعود إلى الأصل الوارد في الفاتحة، ثم يأتي التفات آخر، ثم ينثني الأسلوب ليعود للأصل في الفاتحة، وكأن تلك المثاني مدارات يتحرك فيها الأسلوب، ولعل هذا جانب من جوانب معنى قوله تعالى: " مثاني "، وصار أول التفات من هذا القسم هو الذي جاء في مقدمة سورة البقرة، ومما يقرّب فهم المراد النظر في التصور التالي، بعد تأمل كتاب الله من الفاتحة إلى سورة العنكبوت:

---

(١) تقسيم الالتفات إلى: الالتفات الأكبر، والالتفات الأصغر، وإلى الالتفات الداخلي والخارجي إنما هو اجتهاد من الباحثة.

هذا التصور هو تصور أولى، تندرج تحته اختلافات، فمثلا: هناك فرق بين التفات يقع في وسط المقدمة، أو في آخرها، وبين التفات يقع في الاستهلال.

وكذلك هناك فروق كبرى بين التفات إلى ضمير المتكلم الجمع عن الذات العلية، وضمير المتكلم المفرد عن الذات العلية، كما ينبغي التغلغل لتدبر علاقة كل تلك

الالتفاتات بمقصد السورة التي وقعت فيها، ولكن ذلك ليس موضع البحث هنا، ومن عجائب القرآن الكريم أن آخر التفات جاء فيه كان في سورة الكوثر، وهو من أقوى الالتفاتات، لأنه جاء في الاستهلال، في قوله تعالى: " إنا أعطيناك الكوثر "، والمدهش أن أول التفات في القرآن في قوله تعالى: "... ومما رزقناهم ينفقون " فكأنه قابل إنفاق عباده المؤمنين طاعة له، وتعبدا ورضا، قابل ذلك بأعظم العطاء، وأكرمه، وأسناه، فقال – سبحانه وتعالى –: " إنا أعطيناك الكوثر " والعطاء لنبي هذه الأمة، وللصالحين من أمته، فهو هناك ينتظرهم على حوض الكوثر، نسأل الله أن يرزقنا شربة من الكوثر من يده الشريفة، عليه أزكى الصلاة، وأتمّ السلام، والله المستعان وحده.

الالتفات الأصغر:

وهو الذي يقع في السورة الواحدة، بنوعيه، إما داخل الآية الواحدة، أو بين آيتين متتاليتين.

فهو التفات عن الأصل الذي جاء في سورة الفاتحة، وهو ضمير الغائب عن الذات العلية، إلى ضمير المتكلم الجمع – وهو الأكثر حضورا – أو إلى ضمير المتكلم المفرد:

فإذا كان أصل كلام الله عن نفسه في كتابه الكريم ما جاء في سورة الفاتحة، وقد كان بضمير الغائب، فإن مجيء ضمير المتكلم عن الله في مقدمة البقرة يعدّ التفاتًا عن هذا الأصل، وقد جاء ذلك في مواضع عديدة، هي:

- "... ومما رزقناهم ينفقون " .
- " وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم..."
- " وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة..."
- "... وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو..."

- " وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب..."
- " وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون "

وقد توالى في هذا الموضع من خطاب الله لبني إسرائيل، وتعداد سابق نعمه عليه، توالى مجيء التفاتات إلى ضمير المتكلم الجمع عن ذات الله العلية: "نجيناكم "، "فرقنا "، " وأغرقنا "، " وإذ واعدنا "، " ثم عفونا "، " وإذ آتينا "، ثم عاد للأصل، وهو الغائب: "... حتى نرى الله جهرة..."، ثم التفت لضمير المتكلم الجمع:" ثم بعثناكم "، "وظللنا "، " وأنزلنا عليكم المن والسلوى "، " ما رزقناكم "، " وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية "، " نغفر لكم "، " وسنزيد المحسنين "، ولما تمادوا في العتو والعصيان أنزل الله بهم عقوبته، فقال: " فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون".

ويمكن تصنيفه أحوال مجيئه إلى حالين:

الالتفات داخل الآية الواحدة:

- قوله تعالى: " وإذ قال ربك إني جاعلٌ في الأرض خليفة... إني أعلمُ ما لا تعلمون " فالتفت من الغائب إلى المتكلم المفرد، داخل الآية الواحدة.
- قوله تعالى: " وعلّم آدم الأسماء كلها...فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " فالتفت من الغائب، إلى المتكلم المفرد.
- قوله تعالى: " قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبائهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون " فالتفت كذلك من الغائب إلى المتكلم
- قوله تعالى: " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير " فجاء بضمير المتكلم الجمع، ثم عاد للأصل، وهو الغائب، في آية واحدة.

- **قوله تعالى: " سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعدما جاءته فإن الله شديد العقاب " فجاء بضمير المتكلم الجمع عن الذات العلية، ثم عاد للإخبار عن الله بالغائب.**

الالتفات بين آيتين متتاليتين:

- **قوله تعالى: "..... فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون، وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين " [١] فالآية التي سبقت موضع الشاهد كان ذكر الله فيها بالغائب، ثم التفت فأتى بضمير المتكلم (نزلنا)، ثم عاد للغائب (من دون الله).**
- **قوله تعالى: " قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون "[٢] فالتفت من ضمير المتكلم الجمع إلى ضمير المتكلم المفرد، وكأنه التفات داخل التفات، أو التفات متوالد مكثف، لأن الأصل ضمير الغائب، فالتفت إلى ضمير المتكلم الجمع، ثم التفت إلى ضمير المتكلم المفرد، ثم عاد في الآية التي تليها لضمير المتكلم الجمع.**
- **قوله تعالى: " والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون "[٣] في الآية الأولى التفات إلى ضمير المتكلم الجمع، ثم التفت منه إلى ضمير المتكلم المفرد.**

---

(١) سورة البقرة ٢٢، ٢٣

(٢) سورة البقرة – ٣٨، ٣٩

(٣) سورة البقرة – ٣٩، ٤٠

- قوله تعالى: " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدّة من أيام أُخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون، وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون "[1] التفت من الإخبار عن الله بالغائب، إلى ضمير المتكلم المفرد عن الذات العلية.

(١) سورة البقرة – ١٨٥، ١٨٦

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، **وبعد**.

لقد سعى هذا البحث لسبر أغوار أطول سورة في القرآن الكريم من جانب محدد، ألا وهو: ضمير المتكلم عن الذات العليّة لله عزّ وجلّ، وتحقيقا لهذا المقصد فقد سلك مدارج متتابعة، أولها: بناء السورة العام، كي يتسنى معرفة مواضع وقوع ضمير المتكلم عن الذات العلية في بنية السورة، وبعدها اتجه البحث لفحص العلاقة بين ضمير المتكلم والبناء النحوي، فصنّف ما جاء من ضمير المتكلم عن الذات العليّة إلى ضمائر متكلم عن الجمع، وضمائر متكلم عن المفرد، ثم تحت هذا التصنيف فحص ما يندرج من إسناد الضمير إلى الاسم، أو الفعل، أو الحرف، وأيّ تلك الأنواع كان الأكثر حضورا.

وحين تمّ ذلك للباحثة أفضتْ إلى النظر في الصيغ اللغويّة التي جاء فيها ضمير المتكلم، ومعانيها، ودلالاتها في سياقاتها، وتتبع مدى تكرار كلّ منها.

فلمّا اكتمل تلك المباحث انتقلت الباحثة لفحص علاقة ضمير المتكلم عن الذات العلية في سورة البقرة بفن الالتفات، لأن مما يُلاحظ في السورة وقوع الالتفات من ضمير المتكلم عن الذات العلية بالجمع، إلى ضمير المتكلم المفرد، ومما ينبّه إليه البحث ويرجحه أن مما يعين على معرفة مقصد سورة ما: تحديد ما جاء فيها من الأسماء الحسنى، وعليه كذلك تحديد ما شاع فيها من الضمائر الدالة على الذات العليّة، فبعض السور يشيع فيها ضمائر معينة عن ذات الله سبحانه، مثل شيوع الضمير (هو) عن الله سبحانه في سورة الأنعام، وهكذا.

فينبغي للباحث أن يجمع كل تلك الأسماء الحسنى، ويجمع ويحدد كل ما استعمل في السورة من ضمائر عن الله سبحانه، ويحدد نوعها، أهي ضمائر متكلم، أم غائب، ولا وجود لضمير المخاطب عن الذات العلية في القرآن الكريم كله، ويضع ذلك كله

نصب عينيه وهو يدرس أي سورة في القرآن الكريم.

وتوصلت الباحثة إلى تصنيف الالتفات إلي التفات أكبر، والتفات أصغر، وإلى التفات داخلي، والتفات خارجي، وأتت بعدد من الأمثلة علي تلك الأنواع، ورجّحت السبيل إلى تحديد ما يكون الأصل في كلام ما، وما يكون التفاتا، وأن ذلك بالغ الدقة، ولذا ينبغي التثبت والمراجعة والحذر فيه.

وقد رجحت أن الأصل في كلام الله عن نفسه ما جاء في سورة الفاتحة، لأنها أم الكتاب، وأول المصحف، وقد جاء الإخبار فيها عن الله بالغائب، والتفت الأسلوب في مقدمة سورة البقرة إلى ضمير المتكلم الجمع، ثم في مواضع أخرى إلى ضمير المتكلم المفرد، وهو الأقل حضورا.

ويدعو البحث إلى العناية بالدراسة المتقصية لجانب الضمائر عن الذات العلية في القرآن الكريم كله، بنوعيها: ضمائر المتكلم، وضمائر الغائب، مع العناية بما جاء فيها من الالتفاتات الجليلة، والتفتيش عما وراءها من أسرار البيان الإلهي المعجز، والله الموفق.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، أبو الفتح، ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – د ط – ١٩٩٥م .

٢. ابن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع (ت ٦٥٤هـ) – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر – تحقيق: حفني محمد شرف – الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي

٣. الألوسي، شهاب الدين، السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – دار الفكر – بيروت – د ط – ١٩٨٧م – ج١/ ٩٨

٤. أبو البركات الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت ٥٧٧ هجرية) – أسرار العربية – الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم – ط١ – ١٩٩٩م

٥. البقاعي – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور

٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي الحنبلي (ت ٧٢٨هـ) – مجموع الفتاوى – جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة – ٢٠٠٤م

٧. جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) – قوت المغتذي على جامع الترمذي –– تحقيق: ناصر بن محمد الغريبي – رسالة دكتوراة – جامعة أم القرى – قسم الكتاب والسنة – ١٤٢٤ هـ

٨. جمال الدين إبراهيم عبد الرحمن محمد – الضمائر المتصلة، أنواعها، وكيفية إعرابها، دراسة نحوية تطبيقية في بعض آيات القرآن الكريم –– بحث منشور

في مجلة القلزم للدراسات التربوية والنفسية واللغوية – مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر وجامعة بخت رضا – ع١٤ – ٢٠٢٢م

٩. حسين بن علي الزومي – محور الوحدة الموضوعية لسورة البقرة، دراسة في مقاصد السور – بحث منشور في مجلة المدينة العالمية – العدد

١٠. ابن الخشاب، أبو محمد، عبدالله بن أحمد بن الخشاب (ت ٥٦٧هـ) – المرتجل في شرح الجمل – تحقيق ودراسة: علي حيدر – دمشق – د ط – ١٩٧٢م

١١. ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) – البرهان في تناسب سور القرآن – تحقيق: محمد شعباني – وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية – المغرب – د ط – ١٩٩٠م

١٢. الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨هـ) – الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط٣ – ١٤٠٧هـ

١٣. أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب (ت ١٧٠ هـ) – جمهرة أشعار العرب – حققه: علي محمد البجادي – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – د ط – د ت.

١٤. السّكّاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السَّكَّاكِيّ الخوارزمي (ت ٦٢٦هـ) – مفتاح العلوم – حقّقه، وقدّم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ٢٠٠٠م

١٥. السّيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي (ت ٩١١ هـ) – تناسق الدرر في تناسب السور – دراسة وتحقيق:

عبد القادر أحمد عطا، ومرزوق علي إبراهيم – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – القاهرة – ٢٠٠٢م – د ط

١٦. شرف الدين، الحسين بن عبدالله الطيبي (ت ٧٤٣هـ) – فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، حاشية الطيبي على الكشاف – – تحقيق: إياد محمد الغوج – جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم – ط١ – ٢٠١٣م

١٧. عبد الحميد الفراهي(ت ١٣٤٩هـ) – نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان – دار الغرب الإسلامي– تونس – ط١ – ٢٠١٢م

١٨. عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦هـ) – الرسالة الرابعة (في ارتباط الآيات في سورة البقرة) ضمن: مجموع رسائل في التفسير – تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي – دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة المكرمة – د ط – د ت

١٩. عبد الولي عبد السلام حسين – الالتفات في القرآن الكريم، دراسة بلاغية تطبيقية على الربع الأول من القرآن الكريم – – رسالة دكتوراه – جامعة أم درمان – ٢٠١٥ م

٢٠. عدنان عبد الكريم خليفات – أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، وجهود أشهر اللغويين والنحاة في دراسته –– مجلة البحوث والدراسات في الآداب والعلوم والعربية – جامعة الملك عبد لعزيز – س٢ – ع٤ – ٢٠٠٥ م

٢١. العلوي، يحيى بن حمزة الحسيني العلوي (ت ٧٤٥هـ) – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – المكتبة العصرية – بيروت – ط١ – ١٤٢٣هـ

٢٢. الفخر الرازي، أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦ هجرية) – مفاتح الغيب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٢٠ هـ

٢٣. ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت

٧١٥هـ) – مدارج السالكين في منازل السائرين –– دار عطاءات العلم بالرياض، ودار ابن حزم ببيروت – ط٢ – ١٤٤١ هـ

٢٤. ابن مالك، أبو عبد الله، محمد بن عبدالله الطائي (٦٧٢ هجرية) – ألفية ابن مالك – دار التعاون – د ط – د ت

٢٥. محمد بن أحمد الدوغان – ضمير الجلالة المفرد المتكلم في القرآن الكريم – – بحث منشور في المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل – مج ٩ – العدد الأول – ٢٠٠٨ م

٢٦. محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) – تفسير المنار – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ط٣ – ١٩٩٠م

٢٧. محمد عبد الله درّاز – النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم – دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – الدوحة –قطر – د ط – ٢٠٠٧م

٢٨. محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) – تفسير الشعراوي، الخواطر –– مطابع أخبار اليوم – ١٩٩٧ م – د ط

٢٩. مصطفى مسلم ومجموعة باحثين – التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم – الإمارات العربية المتحدة– جامعة الشارقة – ط١ – ١٤٣١هـ

٣٠. ابن المعتز، أبو العباس، عبد الله بن محمد (ت ٢٩٦هـ) – البديع في البديع – دار الجيل – ط١ – ١٩٩٠م

٣١. ميثم محمد نوري – فن الالتفات في القراءات السبع، سورة البقرة أنموذجا – بحث منشور في مجلة آداب الرافدين – جامعة الموصل – ٢٠٠٨ م – ع ٥٥

٣٢. هالة عدنان الصفدي – الوحدة الموضوعية في سورة البقرة دراسة موضوعية تطبيقية – رسالة ماجستير – الجامعة الإسلامية بغزة – ٢٠٢٠م

قائمة موضوعات البحث

م	الموضوع	رقم الصفحة
(١)	المقدمة	٢٠٧٢
(٢)	التمهيد: بيان مصطلحات البحث ومفاهيمه.	٢٠٧٥
(٣)	مفهوم الذات العليّة.	٢٠٧٥
(٤)	مفهوم عزّ الربوبية.	٢٠٧٥
(٥)	مفهوم ضمير المتكلم.	٢٠٧٧
(٦)	مفهوم الالتفات، ومنزلته البلاغية.	٢٠٨١
(٧)	المبحث الأول – بناء سورة البقرة، ومقصدها العام.	٢٠٨٩
(٨)	المبحث الثاني – ضمير الجلالة المتكلم عن الذات العلية، و البناء النحوي في سورة البقرة	٢١٠٥
(٩)	المبحث الثالث – ضمير الجلالة المتكلم عن الذات العلية والصيغ اللغوية في سورة البقرة.	٢١١٣
(١٠)	المبحث الرابع – ضمير الجلالة المتكلم عن الذات العلية، وعلاقته بالالتفات في سورة البقرة.	٢١١٨
(١١)	قائمة المصادر والمراجع	٢١٢٨
(١٢)	قائمة الموضوعات.	٢١٣٢